

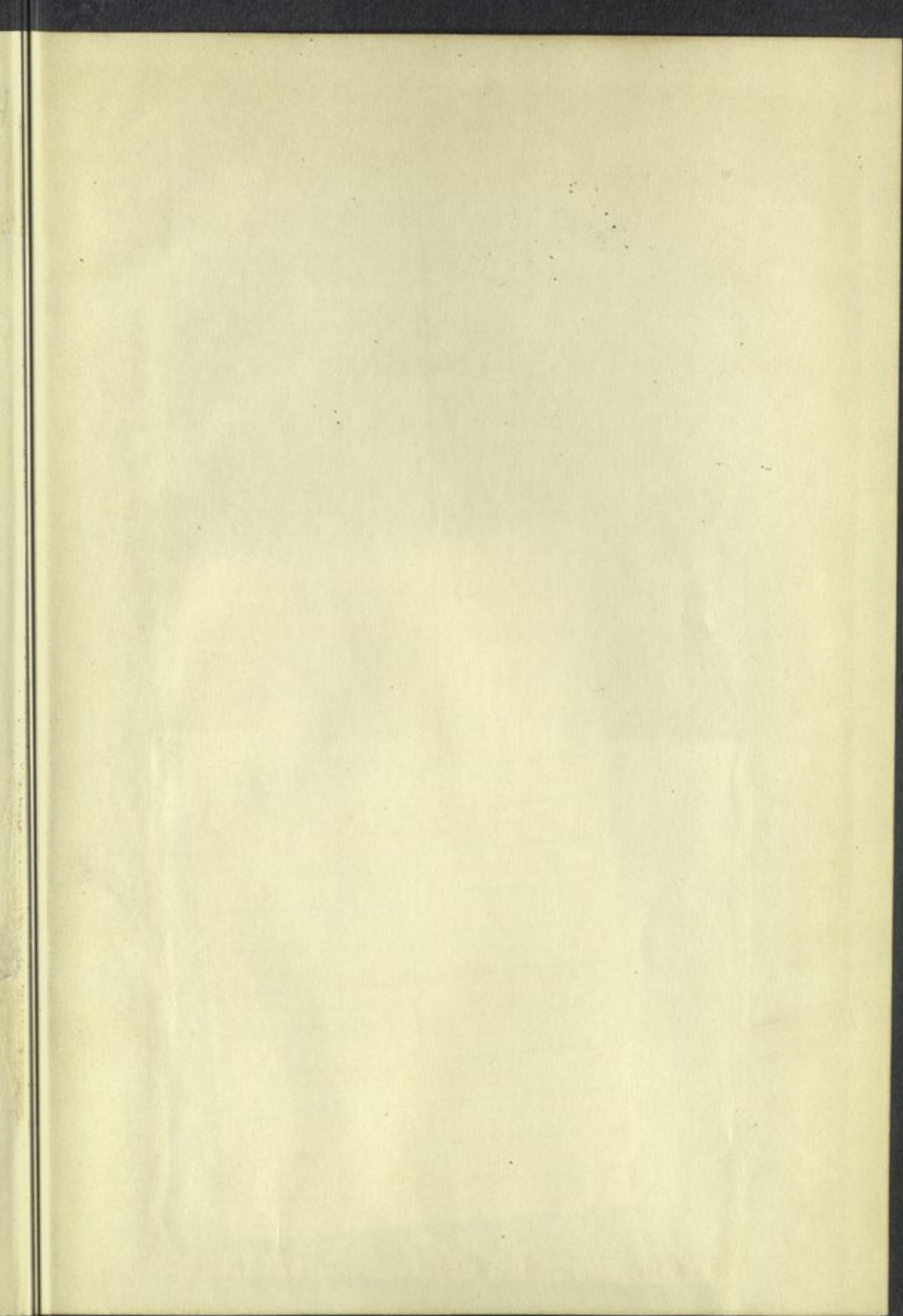
تجليد
صالح الفقير
بيروت - المزرعة

299.2:H34s1A

الحسني، عبد الرزاق •
الاعين في حاضرهم وماضيهم •

299.2
H34s1A

1ADP 65



الصَّابُوتُ

فِي حَاضِرِهِمْ وَمَاضِيهِمْ

تبحث هذه الرسالة في الصابنة قديما وحديثا وتتكلم على معتقداتهم الروحية وفرقهم الدينية وكتبهم المقدسة وعلى «يحيى بن زكريا» الذي يتشون اليه، وتضم بين دفتيها أدق المعلومات واصدقها عن طقوسهم الدينية وعاداتهم الاجتماعية واعبادهم القومية وعدد نفوسهم ومساكنهم وصناعاتهم والمحرمات عندهم

بمّسلم

السيد عبد الرزاق الحسني

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف *

١٣٧٤ هـ = ١٩٥٥ م

مطبعة العرفان - صيدا

* ثبت بأهم المصادر *

أولاً - الكتب المقدسة

١- التوراة ٢- الانجيل ٣- القرآن ٤- الكنزاربنا (وهو كتاب الصابئة الكبير)

ثانياً - المصادر العربية

٥ - ابن خلدون	المقدمة	(القاهرة ١٣٢٩)
٦ - ابن العبري	تاريخ مختصر الدول	(بيروت ١٨٩٠)
٧ - ابن النديم	الفهرست	(لايبسك ١٨٧١)
٨ - ابن القفطي	تاريخ الحكماء	(لايبسك ١٣٢٠)
٩ - ابن منظور	لسان العرب	(القاهرة ١٣٠٠)
١٠ - أبو الفداء	تقويم البلدان	(باريس ١٨٤٠)
١١ - أبو الفداء	المختصر في أخبار البشر	(القاهرة ١٣٢٥)
١٢ - الآمدي	كتاب ابتكار الأفكار	(كتاب مخطوط)
١٣ - الحسني (عبد الرزاق)	الصابئة قديماً وحديثاً	(القاهرة ١٩٣١)
١٤ - الجوهري	معجم البلدان	(القاهرة ١٩٠٦)
١٥ - الدمشقي	نخبة الدهر في عجائب البر والبحر	(بطرسبورغ ١٨٦٥)
١٦ - الرازي (فخر الدين)	اعتقاد فرق المسلمين والمشركيين	(القاهرة ١٣٥٦)
١٧ - الزبيدي	تاج العروس	(القاهرة ١٣٠٦)
١٨ - زوير	المقتطف	(القاهرة ١٨٩٩)
١٩ - السامرائي (كامل)	المجموعة الدائمة - المجلد الخامس	(بغداد ١٩٥٤)
٢٠ - الطبري	جمع البيات	(صيدا ١٣٢٣)
٢١ - عبادة (عبد الحميد)	مندائي أو الصابئة الأقدمون	(بغداد ١٩٢٧)
٢٢ - عواد (كور كيس وبشير)	العراق في القرن السابع عشر	(بغداد ١٩٤٤)
٢٣ - الفيومي	مصباح المنير	(القاهرة ١٩١٢)
٢٤ - الكرمل (انستاس)	المشرق	(بيروت ١٩٠١)
٢٥ - المسعودي	مروج الذهب	(باريس ١٨٦٣)
٢٦ - النجار (عبد الوهاب)	قصص الأنبياء	(القاهرة ١٣٥٥)
٢٧ - وجدي (فريد)	دائرة معارف القرن العشرين	(القاهرة ١٣٤١)
٢٨ - البازجي	مجلة البيان	(القاهرة ١٨٩٧)

ثالثاً - المصادر - الأجنبية

29 - E. S. Drower; The Mandaeans of Iraq and Iran - London 1937

30 - H. Pog non ; Inscriptions Mandaites des coupes de Khoubeir Paris 1898

31 - J.B. Tavernier, les six Voyages - Paris 1713

32 - M.N. Slouffi , Études sur la Religion des Soubbas - Paris 1880

المقدمة

بقلم حضرة صاحب السعادة البعثة الكبير والاستاذ الجليل

سُبُع المروبة أحمد زكي باشا

البراءة في نظري نوعان : براءة الابتكار ، وبراءة الانتقان .

١- براءة الابتكار أن يتناول الانسان غرضاً من أغراض العمران ، أو عرضاً من أعراض الحياة ، فيتولاه بالتفكير الطويل ويعالجه بتكرار النظر العميق ، حتى إذا توافرت لديه الوسائل ونهيات أمامه الأسباب ، أبرز للناس خلاصة بحثه الناضج ، فأذا هي حلية للابصار ، وجوهرة للعقول ، ومتعة للناس .

هذه البراءة مقصورة على أفراد معدودين يبعثهم الله من حين الى حين ، وفي جيل دون جيل ، وهم قليل بل أقل من القليل ، ولكن ثمرات أعمالهم تنتقل بالانسانية كلها من حال الى آخر ، وترتقي بالحضارة الى ما هو أرفع وأرفه . وهذه نعمة من نعم الله فيها الخير العام وفيها البركة الشاملة .

٢- أما براءة الانتقان فإنها مختلفة المظاهر ، متعددة الاشكال . وسأقف في هذه الكلمة أمام ناحية واحدة من نواحيها الجملة .

تلك هي ناحية التحقيق العلمي الصحيح

فالبراءة كل البراعة أن يعالج الكاتب موضوعاً مطروحاً أو بحثاً معهوداً ، أو أن يلتمس أثراً مشهوداً أو أمراً معروفاً . فيدرسه درساً صحيحاً ، ويبحثه بحثاً دقيقاً ثم يفيض عليه شيئاً من سحر البيان ، ويضيف اليه قبساً من نور العرفان ، مع تزيينه بطريف التمهيص ومبتكر التحقيق .

البراءة كل البراعة أن يجيد بعد ذلك تديب أطرافه وتوشية حواشيه بما ينفعه من

روح الحياة فيه ، مما نزل عليه من الإلهام بطريق الرحلة الى المصادر الاولية ، أو توصل اليه عن طريق المكابدة في الاستقاء من المتاهل الاصلية .

هذه هي البراعة التي أمتاز بها أعلام العروبة على عهد ازدهارها في مكة والمدينة في صنعاء وزيد ، في البصرة والكوفة ، في بغداد والموصل ، في دمشق وحلب ، في القدس وطبرية ، في الفسطاط والقاهرة ، في برقة وطرابلس ، في المهديّة وقبروان ، في وهران وتلمسان ، في فاس ومراكش ، في شنقيط وتنبكت^(١) ثم في قرطبة وغرناطة وغيرهما من أمصار الفردوس الاسلامي المفقود ؛ وأخوه الذي هو على شفا جرف هار .

هذه هي البراعة التي امحى أثرها (إلا نزرأ بسيراً تحت الأطلال) فقد درست تلك الاعلام .

هذه هي البراعة التي خبا نورها (إلا جمرأ ضيلاً بين الرماد) فقد انطفأ ذلك المصباح .

نشدها هنا وهنأ فلا نجد لها غير ثمالة زهيدة عندنا ، مزهود فيها عند غيرنا ؛ أما نفحاتها الحقة ، وأما مظاهرها النافعة ، فقد ودعت بلادنا من زمان بعيد ، ثم طاب لها القرار في ديار الفرنج ، لأنهم أكرموا مثواها ولا يزلون يبالفون في الحفاوة بها .
حقاً أنهم أخذوا عن أجدادنا في الأندلس والمغرب ، ومصر والشام ، والعراق والجزيرة المقدسة ، وما الى وراء ذلك حتى مطلع الشمس . بيد أنهم وأصلوا البحث والدرس حتى وصلوا إلى تسخير العناصر لخدمتهم ، وإلى ابتكار الصنائع واختراع

(١) عاصمة الصحراء في افريقيا . وهي التي مسح الجبهة المتفرنجون اسمها متابعة للافرنج في قولهم Tambouctou فقالوا « تمبكتوا » والصواب ما قلت « تنبكت » (بضمة فسكون فضمتان بينهما سكون) فافهم واحفظ ، لأن الافرنج رسموا اللفظ حسب النطق به ولكن المتفرنجين مسحوه بالأخذ عنهم دون الرجوع إلى أهل العلم أو أهل الدار .

البدايع التي يصح وصفها بأنها مما «لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»
 هم يتوافدون من كل فج عميق على أقطار العروبة من أقصاها إلى أقصاها فيبحثون
 عما جهلنا من آثار أجدادنا الأولين

هم يتقبون عن مغامر أقوامنا في كل فن ومطلب ، فيعيدونها إلى الحياة ونحن
 نيام نيام ، ولا أقول غير ذلك .

على أننا نحمد الله قد أخذنا عنهم ، ثم أنشأنا ننسج على منوالهم ، فدخلنا طور
 التجربة ، وسيتبعه طور الانتقال فنكون جديريين بالأجداد .

٣ - بدأت بشائر هذه النهضة في مصر فجاءت بها الشامات ، ثم جاء الدور لبغداد
 وهو آت بلا شك إلى الجزيرة المقدسة .

وطالما تمكنت بما حدث في مصر والشام ، وطالما تمكنت أن أترجم بغيرهما من بقاع العروبة
 وأنني لسعيد بالتحدث في هذه الكلمة عن العراق .

٤ - ففي بغداد نهضة مباركة ، وفي كل أنحاء العراق شعب طموح وثاب ،
 وها هي آثار العمران تعود قليلا قليلا إلى مهد العمران . وها هي شبيبة الفرات تستقي
 من (النيل) ومن (السين) و (التاميز) ثم تعود إلى الرافدين لنشر العلم ولاحياء
 الصناعة في (ما بين النهرين) .

والذي نأمله لي عن ثقات الأصدقاء الصادقين أن الحركة الاقتصادية والصناعية
 في ديار العباسيين ، بين الوطنيين ، وفي دائرة الوطنيين ، ولمصلحة الوطنيين ؛ هي أوسع
 نطاقا وأغزر مادة وأكثر رواجاً مما هو حاصل في وادي النيل ، وهذا شيء محمود
 نقابله بالاعتباط مع الارتياح .

ولقد رأيت سادتهم وقادتهم في الشتاء الماضي بأرض مصر وهم «مثل طلبتهم هنا»
 متشحون بملايس كلها من نسيج بلادهم وهم بها فخورون .

أما الصحافة ، وهي عنوان النهضة ، ومراة الامة ، ورسول الوطنية ، فإنني أرى فيها كل يوم بشاردة جديدة تبعث الأمل وتقيمه على دعائم راسخة .
وأما الجو العلمي ، فقد كان الى عهد قريب في خمول وخمود . ولكن السحاب السود بدأت تنبهد عنه ، فانبثق مجال ضئيل للنور . وعن قريب يتم له الإشراف على كل آفاق العراق ، فيعود لبغداد عصر بني العباس في ثوب عصري قشيب .
هـ -- من آثار تلك البراعة التي تحدثت عنها في العراقين ، من مظاهر هذا النور الذي ترمقته فوق الرافدين ، هذا الكتاب الصغير ، هذا الكتاب الذي توفر مؤلفه البارع على درس الصابئة ، أو القوم الألى يسمون أنفسهم بالصابئة في بطائح البصرة وفي سهول الموصل . وقد أجاد فيه واستوفى شروط البراعة التي أشرت اليها في صدر هذه الكلمة . وأنت إذا قرأته مثلي ، رأيت فيه دليل البراعة التي حدثتك عنها . وأنا أتنبأ لصاحبه بأن كتابه هذا سيتناوله المستشرقون بالترجمة الى الالمانية وإلى كثير من اللغات الاخرى ، وأنه سيكون مصدراً من مصادر أبحاثهم ، ومرجعاً يرجعون اليه ، ومنه لا يستقون منه وحسبه ذلك فخراً ، ولثل هذا فليعمل العاملون .

احمد زكي باشا

ربيع الثاني سنة ١٣٥٠ هـ

أغسطس سنة ١٩٣١ م

عن دار العروبة

كلمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا

— صدق الله ولانا العظيم —

✽ اما بعد ✽

«الصابئون» قوم من اصحاب الديانات القديمة غلب عليهم الحياء والكتمان فكان ذلك مدعاة لاختلاف العلماء والمؤرخين في حقيقة أمرهم . ففريق منهم ردهم الى ديانة بابل وآشور وهي من أقدم الديانات الوثنية لأن أساسها عبادة النجوم وفيها من الشواثر ما يتصل بديانة بابل القديمة ، وفريق آخر قال إنهم فرقة من المجوس والنصارى ولم يزد على ذلك . والحق أنهم ليسوا من المسيحية في شيء . لأن المسيحي من آمن بألوهية السيد المسيح ، والصابئي لا يؤمن بذلك . أما «الزخشري» فقد ذهب في تفسيره «الكشاف» الى أنهم قوم عدلوا عن دين النصارى واليهود وعبدوا الملائكة وهكذا تبانت الآراء ، واختلفت الروايات ، دون أن يقام عليها دليل أو برهان .

وقد أتى على هذا السر عهد لم يهتك له فيها ستر ، ولم يستشف أحدا ما وراءه ، والناس واقفون فيه عند حد التكهن والظن ، يتطلعون الى مكنون أمرهم بلهفة شديدة ، ويحاولون استكشاف حقيقة ديانتهم برغبة ملحة ، فإن القوم يوشك أن ينقضوا من سفر الوجود ولا يبقى لهم إلا الذكر التاريخي الخالد . وهم يكتمون ديانتهم كل الكتمان ، ويضنون بأسرارها حتى عن أهلها واتباعها ، وزجو أن لا يتهمنا القارىء بالغاو إذا قلنا أن الصابئي لا يكاد يعرف من أسرار دينه شيئاً ، ولا يتقن لغة أجداده أو يحسن قراءتها وكتابتها ولا يمكن من السؤال عن اللة فيما يؤديه من طقوس وفروض ، لأن هذه الاسرار محفوظة في صدور المؤمنين ، وهم قلة قليلة لا ترى البوح بها لأحد خشية أن يفلت الأمر من يدها إن انكشف أمرها للخاص والعام .

ومما يزيد الأمر إشكالا والبحث تعقيداً ، أن الصابئين متزويجون عن غيرهم من الطوائف كل الانزواء ، سواء أكل ذلك من ناحية شعائرتهم الدينية التي يقيمونها ، أم من ناحية اللغة التي يتخاطبون بها ، وهم الى ذلك لا يرون دخول أحد من الناس في ملتهم ولا يتزوجون من غير قومهم ، ولا يساكنون أحداً من غير ملتهم ، ولا يؤاكلونه مطلقاً .

وكنّا طبعنا رسالتنا «الصابئة قديماً وحديثاً» في القاهرة سنة ١٩٣١ م ، واعقبناها بمقالة

مطولة نشرناها في « الهلال أيار ١٩٣٢ م » فتلقينا من ضجيج الصابنة وانكارهم ما جرتا الى مرافعات ومحامات طال أمدها ولكنها انتهت بفشل المدعين ، لعدم وجود مأخذ على ما كتبنا ونشرنا ومنذ ذلك الحين ونحن نتابع دراسة هذا الموضوع ، ونصل برؤساء الصابنة وبعض شيوخهم البارزين ، ونحضر حفلات أفرانهم وأترانهم ، ونشاهد طقوسهم وآدابهم ، ونصدق في كتبهم المقدسة وفيما كتب عنهم في بعض اللغات الاجنبية الحية حتى انتهى بنا الأمر الى هذه الدراسة المستفيضة شاركين للاستاذ كوركيس عواد ما أسداه لنا من عون ، ومأمهده لنا من سبل لا إنجازها وآملين أن يتحفنا القراء بما يمنهم من ملاحظات وآراء في هذا الصدد فنعمل به في طبعة الرسالة القادمة ، فإن المرء صغير بنفسه ، كبير بإخوانه ، ومترك الأولون للآخرين من مجال ، ومن الله نستمد المهدي والرشاد .

بغداد - الكرادة الشرقية سلخ ربيع الثاني ١٣٧٤
السيد عبد الرزاق الحسيني

﴿ جدول الخطأ والصواب ﴾

حرصنا كثيراً على أن نجعل هذا الكتاب خالياً من الأغلط فتولينا تصحيح جل ملزماته بنفسنا وكانت ملزمته الثانية (ص ٢٥ - ٤٠) قد تركت للمطبعة فوقع فيها من هذه الأغلط ما يوازي اغلط الكتاب مجتمعة فترجو تصحيحها قبل تلاوتها .

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب				
٢٥	١٤	وفيهم	ومنهم	٤٥	١٧	ولآراء	والآراء
٢٦	٦	وقت واحد	وقت	٤٦	٢١	كل	كل
٢٧	٢	الجلولة	الجلولة	٥١	٤	إلا هذا	إلى هذا
٢٧	٩	ذلك	مزاج ذلك	٥٤	١٩	كثيراً	كثيرين
٢٧	١٠	بل	بل هي	٥٥	١١	أيها	أيها
٢٨	١٣	آمن منهم بالله	آمن بالله	٥٦	٢١	لا يدور	لا يدورون
٣٠	٢	طويل	طويلة	٦٢	٢١	١٨٧٧	١٨٨٠
٣٠	٤	تضاف الكلمات (قال فيود اتم ؟ قالوا لا) إلى ما بعد أنصاري اتم ؟ قالوا لا	تضاف الكلمات (قال فيود اتم ؟ قالوا لا) إلى ما بعد أنصاري اتم ؟ قالوا لا	٧٢	١٤	عن الشر	من الشر
				٨٦	٧	تقضي	لتقضي
				٨٦	٩	بعد غروب	عند غروب
٣٢	٤	م	وم	٨٦	١٠	وولد السها	وولد وسط السها
٣٥	١٨	كان	كانت	٨٨	٢٠	الولد	الوليد
٣٦	٣	مع تمقياته	عن تمقياته	٩١	٤	وبتدق	وبتدق
٣٦	٨-٧	وقيل فيهم	وقال	٩٥	١٩	وربابكم	وامهات لائكم وربابكم
٣٨	١٣	الذي	الأديان الذي	١٠٥	١٩	الله	أقلاها
٣٨	٢١	Khoubeir	Khouabir				

فهرست الصور

الصفحة	الصورة
٤٤	علماء الصابئة وشيوخهم البارزون
٦٦	صفحة من كتاب الكنزا
٧٣	حلالي يذبح طيراً
٧٥	توميده بلباس الرسته
٧٦	كنزيرا بلباس الرسته
٨٩	نعميد طفل في (المندي)
٩٣	مؤمن يعمد مؤمناً
١٠٠	كنزيرا يعمد عريسا
١٠٢	الاسكندولة التي يحملها العريس
١١١	مؤمن يعمد جماعة من الصابئة
١١٢	معبد الصابئة المعروف بالمندي
١١٨	صاغة من الصابئة
١٢٣	الاسكندولة التي يرصد بها القبر

مضامين الكتاب

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٥٣	يحيى في القرآن الكريم	٢	ثبت المصادر
٥٤	يحيى في التوراة والانجيل	٣	مقدمة الكتاب
٥٦	يحيى في كتب الصابئة	٦	كلمة المؤلف
٥٨	يحيى في روايات أخرى		الصابئة قديماً وحديثاً
٦١	وفاة يحيى عليه السلام	١١	توطئة
٦٢	مدفن يحيى (ع)	١٢	كيف عرف الخالق
٦٤	كتب الصابئة المقدسة	١٥	أدوار الديانة الصابئية
٧١	علماء الصابئة	١٨	الصابئة لغة
٧١	توطئة	٢٣	فروع الصابئة
٧٢	الحلالي	٢٧	الفرق بين فرق الصابئة
٧٤	الترميده	٢٨	صابئة القرآن
٧٥	الكتزبرا	٢٩	الصابئة الحرائية
٧٧	الأرشمه	٣٤	صابئة البطائح
٧٨	الرباني - طعام رجال الدين		معتقدات الصابئة المنهائية
٧٩	معاينة رجال الدين	٤١	الخالق جل شأنه
٨١	الصوم والصلاة	٤٢	بدء الخلق
٨٧	النعيمة وانواعه	٤٣	خلقة آدم
٩٥	الزواج عند الصابئة	٤٤	الكون في نظر الصابئة
١٠٧	أعياد الصابئة	٤٥	حديث الطوفان
١١٤	عدد الصابئة	٤٦	عمر الدنيا
١١٦	مساكن الصابئة	٤٩	فكرة الخير والشر
١١٨	صناعة الصابئة	٥٠	اعتقادهم في الجدي
٢٢٠	الموت والجنازة	٥١	اعتقاد طريف
١٢٨	المحرمات عند الصابئة		نبي الصابئة
		٥٢	يحيى بن زكريا عليه السلام

الصائبة قبيماً وحريراً

✽ نوطه ✽

نظرة واحدة إلى تطور الفكر البشري في مختلف عصوره ، تدل الباحث على الاتجاهات الفكرية الغربية ، وعلى تعدد النظرات في فهم هذا الكون وتفهمه .
ومعها حاول الانسان أن يبتعد في تفكيره عن المعتقد ، وأن يجعل النظر خالصاً من شائبة الإيمان ، فإنه لا يستطيع أن يجد إلى ذلك سبيلاً ؛ فالبحث في المعتقدات إنما هو بحث في طوابع التفكير ، ومناهج النظر البشري ، إلا أن فائدة هذا البحث لا تقتصر على دراسة تاريخ المعتقدات والمذاهب فحسب ، إنما تورينا كيف شرع الانسان الأول يفكر في نفسه وفي خالقه ؛ وفي الرابطة التي تربط بينه وبين هذه القوة المدبرة وتوقفنا من جهة ثانية على قيمة ما يظهر من النظريات في عصرنا الحاضر ، وما نراه مستحدثاً وطريفاً في آراء البشر وفي معتقداته .

ومن الضروري جداً أن يعود الانسان إلى تاريخ التفكير والمعتقد ليطلع من ورائه على غرائز البشر العامة ، وعلى اتجاهاته كافة ، وعلى تأثيره بالظروف والأحوال فوجود الانسان في مختلف مظاهره مرتبط تمام الارتباط ومستند بعضه إلى بعض ، وقد ترجع هذه التفكيرات والمعتقدات — عند التحليل ؛ والتحصيص — إلى أصل واحد ، تشعبت منه وطورت الانسان ونطورت معه ، ولكنها أصبحت بمرور الأزمان ، مختلفة تمام الاختلاف ، ومتباينة تباين سلائل الانسان الحاضر .

وغاية ما يأتي به الباحث في مواضيع غامضة كهذه ، أن يدل المتابع على اصلها الذي نشأت منه ، ويلوح إلى العوامل والمؤثرات التي عملت على تغيره .

و (الصائبة) من بين الأديان القديمة التي تستحق أن توضع موضع البحث الواسع

في اللغة العربية ؛ وتستخلص زبدة الفكر فيها من كتب التاريخ والأديان القديمة ، ويستعان على ذلك بما في كتب المؤلفين المعاصرين « الأجانب وغيرهم » من نظرات واجتهادات ، عسى أن تكون مجملات طريفاً في « تاريخ الصابئة » يستعين به قراء العربية على فهم هذا المذهب الغامض . فقد قال قوم : انهم من « عباد الكواكب » وقال آخرون : هم فرقة بين النصارى والمجوس ، وقال الزمخشري : هم قوم عدلوا عن دين النصارى واليهود وعبدوا الملائكة . وقيل فيهم غير ذلك مما يطول بيانه ، وغالبه من باب الظن والحدس ، لأنهم يكتمون دينهم أشد الكتمان ؛ ولا يرون دخول الناس فيه ، وإنما هم على مذهب من قال جرى القلم وأغلق الباب .

وقد يضطرنا البحث في « دين الصابئة » إلى التعرض إلى فكرة التوحيد ومنشئها والنظر فيها ؛ وفي الطريق التي توصل البشر بها إلى الاعتقاد بقوة واحدة تدبر هذا الكون ، ونهيمن عليه . فنقول استطراداً :

✽ كيف عرف الخلق ✽

نظر البشر إلى هذا الكون فيهره ما يحيط به من مظاهر الطبيعة ، وعجائب الكون ورأى نفسه موجوداً صغيراً عاجزاً عن رد طوارئ الطبيعة ، ومجابهة أحداثها ، فأكبر العاصفة ، وارتعدت فرائصه للصاعقة ، ورأى في كل تلك المظاهر قوة مدركة ؛ وحياة خاصة قاسها بما له من وجود وإدراك وحياة ، ورأى مثالا للقوة التي نستحق الانقياد والخضوع ، فنشأت من هنا فكرة العبادة لمظاهر الكون ، وشرع البشر في تأليه كل ما يخاف منه ، وكل ما يحجل كنهه ؛ أو يرى فيه شيئاً غريباً حتى تطورت فكرة الدين بتطور البشر ، وأصبحت المظاهر الطبيعية تُنضوي قواها وتستقر صفاتها في قوى محصورة ، ثم في قوة واحدة .

فبعد أن كان الريح العاصف ، والصاعقة المحرقة ، والشمس المبهرة ، والنار

المتأججة ، الى غير ذلك من مظاهر الطبيعة آلهة تعبد ، وأرباباً يطلب منها العون والمساعدة ، أصبحت تلك القوى التي استترت فيها متمثلة في عدد محصور من الكواكب السيارة ، وفي قوة تمثلها تلك الكواكب ، وقد استمرت هذه الفكرة وتطورت حتى أصبح عدد الكواكب يتضائل ، وأصبحت تلك الآلهة المتعددة يختفي بعضها ضمن بعض حتى لم يبقَ إلا إله واحد ، وأصبح الخلاف في صفاته ووجهات النظر اليه ، بعد أن كان نزاعاً وخلافاً في شر كائه وأقرانه .

ولكن بالرغم من هذه التطورات التي تطورها البشر في عقيدته فإن جذور تلك الاعتقادات ما زالت باقية ، وما زال قسم من البشر ، يحتفظ بأصول العقائد الأولى ، وبصفات التفكير القديم ، كما يوجد الآن قسم من البشر يحتفظ بعادات البشر القديم بل بأشكاله .

فالصابئة وإن ادخلت على معتقداتها بعض التعاليم الحديثة ، فإن من أصحاب تلك المعتقدات التي كانت في الدور الأولى للتفكير البشري . لأن تأليه الكواكب وعبادة النجوم ، والنظر اليها كمظاهر ذات اثر وذات إدراك ، من المعتقدات التي لم تنشأ إلا في العصور الغابرة ، إلا أن لبعض الأقوام صفة الاحتفاظ بالتقاليد وأعادتها أو بالآراء والمعتقدات ، وهذا ما نراه في أصول ديانة الصابئة وفي تعاليمهم وطقوسهم الدينية .

قال الامام فخر الدين الرازي المتوفى عام ٦٠٦ هـ (١٢٠٩ م) الصابئة « قوم يقولون أن مدير هذا العالم وخالقه هذه الكواكب السبعة والنجوم ، فهم عبدة الكواكب . ولما بعث الله ابراهيم ع . م كان الناس على دين الصابئة فاستدل ابراهيم ع . م عليهم في حدوث الكواكب كما حكى الله تعالى عنه في قوله - لا أحب الأفلين - واعلم أن عبادة الأصنام أحدث من هذا الدين لأنهم كانوا يعبدون

النجوم عند ظهورها ، ولما أرادوا أن يعبدوها عند غروبها لم يكن لهم بد من أن يتصوروا الكواكب صوراً ومثلاً فصنعوا أصناماً وأشتغلوا بعبادتها فظهر من هاهنا عبادة الأوثان^(١)

وقال الشيخ شمس الدين الدمشقي المعروف بشيخ الربوة المتوفى سنة ٧٢٧ هـ (١٣٢٦ م) .

« وقيل إن الصابئة قسمان : أحدهما القائلون بالهياكل وهم عبدة الكواكب ، والآخرين القائلون بالأشخاص ، وهم عبدة الأصنام ، فأما القائلون بالهياكل فإنهم يزعمون أنهم أخذوا ذلك عن عاديمون ، وهو شيث النبي (ع) ، وعاديمون أخذه عن أخنوخ ، وهو هرمس الهرامسة ، هذا زعمهم الباطل . وأما الآخرون فيزعمون أن الأصنام صور روحانيات الكواكب ، وفي الصابئة من اعتقد وجوب (عبادة) الكواكب لدورانها وهم القائلون بالأكوار والأدوار . وهو لا زعموا أن المعبود واحد وكثير . أما الواحد والوحدانية ففي الذات والأزل ، وأما الكثرة فلا نه يكثّر بالأشخاص في رأي العين » اهـ^(٢)

وقال العلامة عبد الرحمن بن خلدون المغربي المتوفى سنة ٨٠٨ هـ (١٤٠٥ م) « إن الصابئة هم القائلون بالهياكل والأرباب السماوية والأصنام الأرضية وإنكار النبوات ، وهم أصناف ، وبينهم وبين الخنفاء مناظرات وحروب مهلكة ، وتولدت من مذاهبهم الحكمة الملطية ، ومنهم أصحاب الروحانيات ، وهم عباد الكواكب وأصنامهم التي عملت على تماثلها . أما الخنفاء فهم القائلون بأن الروحانيات منها ما وجودها بالقوة ، ومنها ما وجودها بالفعل ، فما هو بالقوة يحتاج إلى ما يوجد به بالفعل . ويقرون

(١) كتاب « اعتقادات المسلمين والمشرّكين » القاهرة ١٣٥٦ (ص ٩٠)

(٢) كتاب نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، (بطرسبرغ ١٨٦٥ م) ص ٤٤

بنبوة إبراهيم ، وأنه منهم ، وهم طوائف منها : الكاظمة أصحاب كاظم بن قارح ، ومن قوله إن الحق بين شريعة إدريس وشريعة نوح وشريعة إبراهيم . ومنها البيدانية أصحاب بيدان الاصغر ، ومن قوله اعتقاد نبوة من يفهم عالم الروح ، وأن النبوة من أسرار الإلهية . ومنها القنطارية أصحاب قنطار « الاصح قينانية أصحاب قينان » ابن أرفكشاد ويقر بنبوة نوح . ومنها أصحاب الهياكل ، ويرون الشمس إله كل إله . والحرانية ، ومن قولهم المعبود واحد بالذات و كثير بالاشخاص في رأي العيان ، وهي المدرجات السبع من الكواكب والاشخاص الارضية الخيرة العاملة الفاضلة « اهـ وهناك آراء ونقول أخرى لا نرى ضرورة لإثباتها هنا فلنتنقل الى كيفية تفرع الديانة الصابئية الى أدوارها الاربعة .

✽ الدور الديانة الصابئية ✽

لئن دلت « الديانة الحمديدية السمحة » على شيع إسلامية كثيرة ، ولئن شملت الديانتان : المسيحية والموسوية فرقاً نصرانية ويهودية مختلفة ، فإن مما لا شك فيه ان الديانة الصابئية تغيرت على مرور الزمن حتى تفرعت منها فروع متنوعة كانت تنتقل من دور الى دور كما هو آت :

١ - الصابئية في الدور الأول

لا شك في أن الديانة التي سادت العالم في الأعصر الاولى كانت هي « الديانة الطبيعية » أي عبادة مظاهر الطبيعة ^(١) وكان للأجرام السماوية بين تلك المظاهر المقام

(١) اختلف علماء تاريخ الأدبان في قديمها فرأى بعضهم ان البيانات الطبيعية أقدم من الديانات الروحية ، ورأى البعض الآخر عكس ذلك ، أي أن الديانات الروحية أقدم من البيانات الطبيعية ، وكان كل من الطرفين يدعم رأيه ببعض الامارات . أما علماء الدين فلا شك عندهم في ان الديانات الروحية اسبق من البيانات الطبيعية لأن آدم ، أصل البشر ، كان على دين التوحيد

الأول، والقدر المعلى . فكان البشر الاول - رغم دخوله في دور الحضارة ، وتأسيسه أصول المدنية - لا يزال في ديانتهم يمثل عصر ما قبل التاريخ ، فلم تخل حضارة البابليين والمصريين القدماء ، والفرس ، حتى اليونان - على تأخر زمانهم - من تأليه مظاهر الطبيعة ، وتقديس الأجرام العلوية .

وإذا اعتبرنا أن ديانة الصابئة هي عبادة الكواكب والنجوم ، فلا شك في أنها أقدم ديانة عرفها البشر في عصر التاريخ . أما أصول هذه الديانة فهي الاعتقاد بتعدد القوى المدبرة لهذا الكون ، وبوجود قوة أعلى تهيمن على هذه القوى وتديرها ، وما هذه الهياكل التي يقيمونها في الأرض ، وتلك المظاهر والطقوس التي يأتون بها في فروض عباداتهم ، إلا وسائط تقربهم من تلك الأجرام التي حلت فيها القوة فشكل الكوكب إذا نقش على خاتم ، وهندسة البيت إذا بني على شكل خاص ، والحضور إلى الهيكل أو البيعة في أوقات معينة ، والتوجه لدى تلاوة الأسماء وتمجيد الآلهة إلى جهة خاصة ، كل هذا مما يقرب الانسان من مصدر القوة الأعلى .

هذه هي أصول ديانة الصابئة في دورها الاول ، وقد بقي بعد تطورها طوال هذه الأعصر شي . من تلك الأصول يوجد في عبادة الصابئة الحاليين من تعظيمهم للكواكب وتكريمهم للنجوم ، ولا سيما الكواكب السيارة السبع . أما النجم القطبي فله مقام ممتاز عندهم . فهو القبلة التي يتجه اليها في كل فرض وطقس يقوم بها المتدين . وكل الشعائر إذا لم يتوجه بها إلى هذا الكوكب فليست بمقبولة . فالهيكل إذا بني وجب جعل بابه مستقبلاً له بحيث يكون الداخل اليه مستديراً هذا النجم ، وبحيث تكون الشعائر التي تؤدى فيه متجهة بها إلى جهته نبر كما بطلعته وتيمناً بما له من خواص .

وكان هذه الميزة التي امتاز بها هذا الكوكب ، إنما جاءت من جهة ثباته ، وبقائه في موضعه دون أن يغيب عن كبد السماء في كل ليالي الفصول . ومعلوم

ما للمظهر الطبيعي من الاثر - ولا سيما على البشر الاول - في تكوين العقيدة .
ولكون الكواكب الاخرى تغيب عن كبد السماء في بعض الفصول ، وتظهر في
الفصول الاخرى ، فقد جاءت بعد النجم الثابت في الدرجة .
أما الشمس والقمر فإنهما وإن كانا مستمرين في الظهور ، الا أن ما يطرأ عليهما
من الانتقال من برج إلى برج ، ومن النقصان والكمال ، ومن الخسوف والكسوف
كاد يفقد هما صفة الثبات التي امتاز بها الكواكب القطبي .

٢ - الصابئة في الدور الثاني

يكاد يكون تاريخ ديانة الصابئة تاريخاً عاماً للاديان الاخرى . فإن السنن
التي تمشت عليها هذه الديانة ، والتطورات التي تطورت بها ، تبدو في سنن وتطورات
سائر الأديان .

وغريب أن يذهب البعض إلى القول بأن الصابئة انتقلت من دورها الاول إلى
دورها الثاني مباشرة دون تطور . ولا يستطيع الباحث المنقب - مهما ساعده
المصادر - أن يقف على حلقات الانتقال من الدور الأول « في عبادة الأجرام » إلى
الدور الثاني « في عبادتها على هيئة الأصنام والرموز والأوابد » وكل ما يعرفه التاريخ
أن الصابئة - بعد مرور عهود طويلة - أصبحت تبني الهياكل وتسميها بأسماء الكواكب
وتقيم في أوساطها التماثيل ، وتبني على المرتفعات العالية الأوابد والرموز .
أما الاسباب التي دعت إلى هذا الانتقال فهي مما تساعد عليه عوامل التطور ،
وبقنضيه تقدم البشر في الحضارة . فالفكر وسائر وجودات الانسان الاخرى تتأشى
معاً وتتطور على نسق واحد .

وقد فطن « المسعودي » المؤرخ الشهير المتوفى سنة ٣٤٥ هـ (٩٥٦ م) إلى هذا

المعنى فذكره قائلاً :

«فأقاموا على ذلك - أي أقاموا على عبادة الله والكواكب - برهنة من الزمان وجملة من الاعصار حتى نبههم بعض حكمائهم على أن الأفلاك والكواكب أقرب الاجسام المرئية إلى الله تعالى ، وأنها حية ناطقة ، وأن الملائكة تختلف فيما بينها وبين الله ، وأن كل ما يحدث في هذا العالم ، فإنما هو على قدر ما تجري به الكواكب على أمر الله ، فعظموها وقربوا لها القرابين لثنتهم ، فمكثوا على ذلك دهرًا . فلما رأوا الكواكب تختفي بالنهار ، وفي بعض أوقات الليل لما يعرض في الجو من السواثر ، أمرهم بعض من كان فيهم من حكمائهم أن يجعلوا لها أصنامًا وتماثيل على صورها وأشكالها فجعلوا لها أصنامًا وتماثيل بعدد الكواكب الكبار المشهورة وكل صنف منهم يعظم كوكبا منها ويقرب لها نوعًا من القرбан خلاف ما للآخر على أنهم إذا عظموا ما صوروا من الأصنام ، تحركت لهم الاجسام العلوية من السبعة بكل ما يريدون ، وبنوا لكل صنم بيتًا وهيكلًا منفردًا وسموا تلك الهياكل بأسماء تلك الكواكب»^(١)

أما الرموز فكانت عبادة ترمي إلى إظهار الاجسام العلوية بأجسام طبيعية سفلية فالنار ، والماء ، والهواء ، مما يرمز به الى تلك الكواكب ، لأنها صادرة منها ، ومن هنا جاءت عبادة النار ، واستقل بها فرع من الصابئة دعي بعد ذلك (بعبادي النار أو المجوسية)

ولا يزال الصابئون الحاليون يقدسون مظاهر الطبيعة ، ويرون في النار والشهب والرعد ، والبرق ، وسائر الظواهر الجوية ، رمزاً يعبر عن إحدى تلك الكواكب ، وقد تخيلوا لتلك الاجرام العلوية أشكالاً خاصة فحتموا على صورها الاوابد والتماثيل المقامة في الاماكن المرتفعة ، فكان لكل نجم صورة ، ولكل كوكب تماثيل خاص يمثله في أدوار ظهوره ، وهكذا ظلت الاوابد والتماثيل الخالدة تعبر لنا عن تفكير البشر

(١) مروج الذهب (القاهرة ١٩٣٨ م) ج ٢ ص ١٣٥

الاول في حالته وتصوره للقوة المدبرة .

٣ - الصابئة في الدور الثالث

بدأ هذا الدور باستقرار ديانة الصابئة ، ودخولها ضمن الكتب والاسفار ، واعتناء الكهنة بدراستها وتدريسها ، فكانت وكان فيها مجال واسم للنظر ، والبحث ، والفلسفة والتعليل ، شأن كل ديانة تستقر وتستمر .

والذي يظهر من قتبغ التاريخ أن هذا الدور كان دور تعليل وتحليل لاصول الديانة ، وكان لانقطاع الرهبان والكهنة إلى الدراسة والعبادة شأن في إدخال الآراء الفلسفية على تعاليم الدين . أضف إلى ذلك أن العلم بظواهر الكون ، والبحث فيه ، كان من جملة ما تدرسه المدرسة الاولى ، وما نعني بالبحث عنه ، فكان لزاماً أن يتأثر الدين بالفلسفة ، وأن تظهر التعديلات النظرية في المعتقدات الدينية ، ولا سيما وأن الفلسفة في تلك العصور لم تكن في مبادئها علمية بحتة ؛ بل كان للدين تأثير عليها فكان مما لا بد منه أن تصبح الفلسفة دينية ، وأن يصبح الدين فلسفة .

فتعاليم الصابئة في هذا الدور تأثرت نوعاً ما بهذا النوع من الفلسفة ، وكانت الأبحاث تدور عن حقيقة التمثيل والقوة ؛ وعن قابلية الكواكب واستعدادها ، وعن التأثيرات الكونية وعلاقتها بهذه الكواكب ، وعن خواص الاسماء والحروف وعن مبدأ العالم ومنتهاه .

كل هذه الأشياء كانت مما يبحث عنها ، ولكن علمها لم تكن علمية بحتة ، نظراً لبداية البشر في فهم الكون ، إنما كانت كل التعديلات دينية تربط بمخالفات القوة وبمشيئته . فالشكل المربع مثلاً في نظرهم إذا كتب في ساعة معينة من ساعات النهار أو الليل بحروف خاصة لكواكب من الكواكب السيارة أصبح ذا أثر في الخارج . أما السبب في هذا الأثر ؛ وفي هذه القوة التي ظهرت في المربع فستند في نظرهم

إلى ما منح الله ذلك الكوكب من قوة التأثير ، وهكذا كانت لعل كل أصول الدين وأسماؤه بأمثال هذه العلة .

ويمكننا من دراسة تاريخ بعض الديانات أن نعرف الأدوار التي ظهر فيها بعض الانبياء ، فمن الخليل الذي جاء ذكره في القرآن الكريم ، وطرق استدلاله ومحاكمته يبين بوضوح أنه جاء في زمن الفلسفة الدينية ، أي الدور الثالث للديانة الصابئية . ولم تنج هذه الديانة - كغيرها من الأديان - من التأثير بالفلسفة اليونانية التي جاءت بعد أن نضجت الفلسفة ، وحاولت الاستقلال عن الدين ، فقد أدخل الصابئون كثيراً من الآراء الفلسفية اليونانية في تعاليمهم ، وقد يكون هذا التجدد في نهاية الدور الثالث الذي دعي بعد ذلك بدور الفلسفة .

٤ - الصابئة في الدور الرابع

كان الانقلاب الذي حدث قبل المسيح (ع) وما جاء بعده من تطورات دينية أثر بين في سائر الديانات الأخرى ، وكانت فكرة ظهور مجدد للديانة متغلغلة في نفوس أصحاب كل دين . فقد مال الصابئة إلى الاعتقاد بأن يوحنا المعمدان هو الرجل المجدد المنتظر فاعتقدوا به ، وعظموه ، وما زال الصابئة حتى الآن يذكرون له بعض التعاليم ، ويعتقدون به كنبى مجدد أرسل اليهم دون غيرهم من البشر .

ومن الخطأ الاعتقاد بأن الصابئة قد انقرضت منذ ظهور المسيح (ع) وأن المعتقدين بها قد اندمجوا بالديانة النصرانية ، إذ لا يزال القسم الكبير من الصابئة الحاليين يعتقدون بأصول المعتقد الأول الذي يرمي إلى تقديس الكواكب وتأليه النجوم أو تعظيمها .

✽ الصابئون لغة ✽

قال ابن منظور صاحب (لسان العرب) المتوفى سنة ٧١١ هـ ١٣١١ م في مادة صبا

(صبا) الصابئون قوم يزعمون أنهم على دين نوح عليه السلام بكذبهم . وفي الصحاح جنس من أهل الكتاب وقبلتهم من مهب الشمال عند منتصف النهار ، التهذيب الليث . الصابئون قوم يشبه دينهم دين النصارى إلا أن قبلتهم نحو مهب الجنوب يزعمون أنهم على دين نوح وهم كاذبون . وكان يقال للرجل إذا أسلم في زمن النبي ﷺ قد صبا عنوا أنه خرج من دين إلى دين وقد صبا يصبأ صبأً وصبواً وصبوً يصبو صباً وصبواً كلاهما خرج من دين إلى دين آخر كما نصبأ النجوم أي تخرج من مطالعها . وفي التهذيب صبا الرجل من دينه يصبأ صبواً إذا كان صابئاً . أبو اسحق الزجاج في قوله تعالى والصابئين معناه الخارجين من دين إلى دين يقال صبا فلان يصبأ إذا خرج من دينه أبو زيد يقال أصبأت القوم إصباءً إذا هجمت عليهم وأنت لا تشعر بمكانهم وأنشد « هو على عليهم مصبأً منقضا » وفي حديث بني جذيمة كانوا يقولون لما أسلموا صباناً صباناً وكانت العرب تسمي النبي ﷺ الصابي لأنه خرج من دين قريش إلى الاسلام ويسمون من يدخل في دين الاسلام مصبواً لأنهم كانوا لا يهزون فأبدلوا من الهزة واواً ، ويسمون المسلمين الصبابة بغير همز كأنه جمع الصابي غير مهوز كقاض وقضاة وغاز وغزاة . وصبأ عليهم يصبأ صباً وصبواً وأصبأ كلاهما طلع عليه وصبأ ناب الخف والظلف والخافر يصبأ صبواً طلع حده وخرج . وصبأت سن الفلام طلعت . وصبأ النجم والقمر يصبأ وأصبأ كذلك ، وفي الصحاح أي طلع الثريا قال الشاعر يصف قحطا :

وأصبأ النجم في غرباء كاسفة كأنه بائس محتاب أخلاق

وصبأت النجوم إذا ظهرت وقدم اليه طعام فما صبا ولا أصبا فيه أي ما وضع فيه يده عن ابن الاعرابي أبو زيد يقال صبأت على القوم صباً وصبعت وهو أن ندل عليهم غيرهم . وقال ابن الاعرابي صباً عليه إذا خرج عليه ومال عليه بالعداوة وجعل قوله

عليه الصلاة والسلام لتعودن فيها أساور صبي^(١) فعلا من هذا خفف همزه أراد أنهم كالحيات التي يميل بعضها على بعض « انتهى بنصه »

وقال الفيومي صاحب « كتاب المصباح المنير » المتوفى سنة ٧٧٠ هـ ١٣٦٨ م . « ... وصبا من دين الى دين يصبأ مهموز بفتحين خرج فهو صابئ . ثم جعل هذا اللقب علما على طائفة من الكفار يقال إنها تعبد الكواكب في الباطن وتنسب الى النصرانية في الظاهر ، وهم الصابئة والصابئون ، ويدعون أنهم على دين صابئ بن شيث بن آدم^(٢) »

هذا أم ما جاء في اللغة العربية عن الصابئة « وذهب جسنيوس العالم اللغوي الالمانى الى أن كلمة صابئين مشتقة من صباووث العبرانية أي جند السماء دلالة على أنهم يعبدون الكواكب . وذهب نولدكي الى أنها مشتقة من صب الماء إشارة الى اعتمادهم بالماء لأنهم يعتمدون كالنصارى وقال غيره ان الديانة المسيحية اتصلت ببقية الكلدانيين فنشأ منهم مسيحيو مار يوحنا في البصرة وهم الصابئون » (٣)

هذا قليل من كثير مما جاء عن تعريف كلمة الصابئة لغويا

(١) لسان العرب ج ١ ص ١٠٢-١٠٣ (٢) المصباح المنير د القاهرة ١٩١٢ ص ٥٠٩

(٣) القس صموئيل زويمر في « المقنطف ج ٢٣ ص ٨٧ »

فرق الصابئة

لا شك أن أهم ما يلزم للباحث - حينما يريد أن يحزى مبحثاً من المباحث أو ينظر في موضوع من الموضوعات - هو أن يلقي نظرة إجمالية على ذلك المبحث أو الموضوع، ليكون للقارئ فكرة عامة عن مذاهب تلك التجزئة ومبعث ذيك التقسيم. ومن الصعب جداً أن نتوصل بصورة تاريخية دقيقة إلى الأزمنة التي تفرعت فيها الأديان، وتجزأت فيها المذاهب، ولكن ذلك لا يمنعنا من الدخول في موضوع «الصابئة» وأمثالها من الأديان القديمة الكبرى، ولا يمنعنا أيضاً من البحث عن فرقها التي تفرعت عنها.

ولئن كانت لفظة «الصابئة» عامة نتناول - بحسب مفهومها - قسمين واحداً من المتدينين بهذا الدين، فإن البحث التاريخي يدلنا على فرق متعددة، ومذاهب متشعبة، تندمج كلها تحت هذا الاسم، ويجمعها جامع هذا المفهوم؛ على ما بينها من اختلاف في العقيدة والفروع، وعلى ما أصابها من تطوّر في الزمان والمكان. وقد تطرق العلماء والمحدثون إلى تقسيم الصابئة، وبيان الفرق التي نشأت منها، وعرفوا كل قسم بما له من معتقد، وبما يمتاز به من عبادة، وما يقطنه من مكان، إلا أن القسم الأغلب من أولئك الباحثين كان معتمداً في بحثه على غيره، وكان ناقلاً مجرداً، غير متبحر ولا متوغل. ولعل أحسن من توسع في هذا البحث، وبين الفرق الصابئية على اختلاف أنواعها وألوانها، مستنداً إلى العقل والنقل، هو الامام أبو الحسن علي بن محمد المكنى بأبي علي بن سالم التتلي، الفقيه الأصولي الملقب بسيف الدين الأمدي المتوفى عام ٦٣١هـ (١٢٣٣م) فقد ذكر في مخطوطه (كتاب أبكار الأفكار) أن أشهر فرق هذه الملة أربع وهي:

الفرقة الاولى

« اصحاب الروحانيات : وقد يقال ذلك بالرفع أخذاً من الروح ، وهو جوهر ، وقد يقال بالنصب وهو حالة خاصة به ، وقد زعم هؤلاء ان اصل وجود العالم يتقدس عن سمات الحدث ، وهو أجل وأعلى من أن يتوصل إلى جلاله بالعبودية له ، والخدمة من السفليات وذوات الانفس المنغمسة في عالم الرذائل والشهوات ، وإنما يتقرب اليه بالمتوسطات بينه وبين السفليات وهي امور روحانية مقدسة عن المواد الجرمانية - نسبة إلى الجرم - والقوى الجسمية والحركات المكانية ، والتغيرات الزمانية في جوار رب العالمين ، مجبولون على تقديسه وتمجيده وتعظيمه دائماً وسرمداً .

« قالوا وهم آلمتنا وأربابنا ومماثلنا إلى حاجتنا ، وبهم يتقرب إلى الله تعالى . وهي المدبرة للكون الفلكية ، والمدبرة لها على التناسب المخصوص بحيث يتبعها انفعالات في العناصر السفلية ، وحركات بعضها إلى بعض ، وانفعال بعضها عن بعض عند الاختلاط والامتزاج المفضي إلى التركيب الموجب لتنوع المركبات ، إلى انواع المعادن والنبات والحيوانات ، وتصريف موجودات الاعيان من حال إلى حال ، ومن شأن إلى شأن ، إلى غير ذلك من الآثار العلوية والسفلية .

وزعموا ان الكواكب الفلكية هي هياكل هذه الروحانيات ، وان نسبة الروحانيات إليها في التقدير لها ، والتدوير ، نسبة الانفس الانسانية إلى ابدانها ، وأن لكل روحاني هيكل يخصه ولكل هيكل فلكا يكون فيه . وزعموا ان المعروف لهم : غارميون وهرمس اللذان هما أصل علم الهيئة وصناعة النجامة . وهرمس هو أول من قسم البروج ، ووضع أسماءها ، وأسماء الكواكب السيارة ، ورتبها في بيوتها ، وبين الشرف والوبال ، والابواب والحضيض ، والمناظر والتثليث ، والتسديس ، والتربيع ، والمقابلة ، والمقارنة ، والرجوع والاستقامة ، والميل والتعديل ، واستقل باستخراج

الكثركواكب واحوالها ، وقيل ان غارميون هو شبت ، وهرمس هو ادريس عم .

الفرقة الثانية

« أصحاب الهياكل : فانهم قالوا إذا كان لا بد للانسان من متوسط ، فلا بد أن يكون ذلك المتوسط بما نشاهده ونراه ، حتى نتقرب اليه . والروحانيات ليست كذلك فلا بد من متوسط بينها وبين الانسان ، واقرب ما اليها هياكلها فهي الآلهة والارباب المعبودة ، والله تعالى رب الارباب ، واليه التوسل والتقرب ، فإن التقرب اليها تقرب الى الروحانيات ، التي هي كالارواح بالنسبة اليها .

« ولا جرم أنهم دعوا الى عبادة الكواكب السبعة السيارة ، ثم أخذوا في تعريفها ، وتعريف أحوالها بالنسبة الى طبائعها ، وبيوتها ، ومنازلها ، ومطالعها ، ومغاربها ، واتصالاتها ، ونسبتها الى الاماكن والازمان ، والليالي ، والساعات ، وما دونها ، الى غير ذلك ثم تقربوا الى كل هيكل وسألوه بما يناسبه من الدعوات ، فيما يناسبه من الاماكن ، والازمان واللباس الخاص به ، والتختم بالخاتم المطبوع على صورته . والهياكل عندهم أحياء ناطقة بحياة الروحانيات التي هي أرواحها ، ومتصرفه فيها ، وفيهم من جعل هيكل الشمس رب الهياكل والارباب ، وهذه الهياكل هي المدبرة لكل ما في عالم الكون والفساد على ما سلف ذكره في تعريف مذهب الفريق الأول ، وربما احتجوا على وجود هذه المديرات ، وأنها أحياء ناطقة ، بأن حدوث الحوادث إما أن يكون مستنداً الى حادث اوقديم ، ولا جائز أن يكون مستنداً الى حادث ، اذ الكلام فيه كالكلام في الأول ، والتسلسل والدور محالان ، فلم يبق الا أن يكون مستنداً الى ما هو في نفسه قديم ، وذلك القديم اما أن يكون موجبا بذاته او بالاختيار فان كان الاول ، فاما أن يكون كل ما لا بد منه في ايجاد الحوادث محققاً معه ، أو انه متوقف على تجدد ، فان كان الاول ؛ فيلزم قدم المعلول ، والقدم علته شرطه وهو

محال ، وإن كان الثاني فالكلام في تجدد ذلك الأمر كالكلام في الاول ، وهو تسلسل فلم يبق الا أن يكون فاعلا مختاراً ، وليس في عالم الكون والفساد فاعل قديم مختار الا الأفلاك والكواكب ولذلك حكموا بكونها أحياء ناطقة .

الفرقة الثالثة

أصحاب الاشخاص : وهؤلاء زعموا أنه إذا كان لا بد من متوسط مرئي ، فالكواكب وإن كانت مرئية ، إلا أنها قد ترى في وقت واحد دون وقت ، لطلوعها وأفولها ، وظهورها ، وصفائها نهاراً ، فدعت الحاجة إلى وجود اشخاص مشاهدة نصب اعيننا تكون لنا وسيلة الى الهياكل ، التي هي وسيلة إلى الروحانيات ، التي هي وسيلة الى الله تعالى ، فاتخذوا لذلك اصناماً مصورة على صور الهياكل السبعة . كل صنم من جسم مشارك في طبيعته لطبيعة ذلك الكوكب ، ودعوه وسأله بما يناسب ذلك الكوكب في الوقت والمكان ، واللبس والتختم بما يناسبه ، والتخير المناسب له على حسب ما يفعله أرباب الهياكل إلا أنها هي المعبودة على الحقيقة ، وهذا هو الاشبه بسبب اتخاذ الاصنام .

ويمكن أن يكون اتخاذ الاصنام ، بالنسبة إلى غير هذه الفرقة ، وتَعْظِيمها لانتهاها قبلة لعبادتهم ، أو لأنها على صورة بعض من كان يعتقد فيه النبوة والولاية تعظيماً له ، أو لأن قدماء أرباب الهياكل والاصنام وعلمائهم ، ركبوا طلاسماً ، ووضعوها فيها ، وأمرهم بتَعْظِيمها لتبقى محفوظة بها ، والافاعتقاد الإلهية فيما اتخذوا صوراً من الاخشاب ، والاحجار ، وكونه خالقاً لمن صوره ، ومبدعاً لمن وجدوه قبل وجوده من العالم العلوي والسفلي ، مما لا يستجيزه عقل عاقل ، بل البدهة شاهدة برده ، وابطاله وإن وقع ذلك معتقد البعض الرقاق (كذا) ومن لا خلاق له من العوام منهم فلا يلتفت اليه ولا معول عليه .

الفرقة الرابعة

« الحيلولة : وهوؤلاء زعموا أن الآله المعبود واحد في ذاته ، وأنه أبدع أجرام الافلاك وما فيها من الكواكب ، وجعل الكواكب مديراً لما في العالم السفلي ، فالكواكب آباء احياء ناطقة ، والعناصر امهات ، وما تؤديه الآباء من الآثار الى الامهات تقبلها بأرحامها ، فتحصل من ذلك المواليد وهي المركبات ، والآله تعالى يظهر في الكواكب السبعة ، ويتشخص بأشخاصها ، من غير تعدد في ذاته وقد يظهر ايضا في الاشخاص الارضية الخيرة الفاضلة ، وهي ما كان من المواليد ، وقد يتركب من صفو العناصر دون كدرها ، واختص بالمزاج القابل لظهور الرب تعالى فيه إماذاته واما صفة من صفات ذاته ، على قدر استعداد ذلك الشخص . وزعموا ان الله يتعالى عن خلق الشرور ، والقبايح ، والاشياء الخسيسة الدنية كالخشرات الارضية ونحوها ، بل واقعة ضرورة انصالات الكواكب ، سعادة ونحوسة ، واجتماعات العناصر صفوة وكدورة ، وزعموا ايضا أنه على رأس ستة وثلاثين الف سنة واربعائة وخمس وعشرين سنة يحدث روحاني على رأس الدور الآخر ، وكذا الى ما لا يتناهى ، وأن الثواب والعقاب على أفعال الخير والشر كل دور واقع لكن في الدور الذي بعده في هذه الدار لا في غيرها .

« والصابئة على اختلافهم في المبادئ متفقون على وجوب ثلاث صلوات لهم ، والاغتسال من الجنابة ، ومس الميت ، وعلى تحريم لحم الخنزير ، والكلب ، والجزور ، وماله مخلب من الطير ، والسكر ، وأمروا بالنكاح من ولي وشهود ، ونهوا عن الجمع بين امرأتين ، وعن الطلاق إلا بحكم حاكم شرعي ، إلى كثير من الاحكام المشروعة في شرعنا هذا » إله

✽ الفرق بين فرق الصابئة ✽

لعل التقسيم الذي أثبتته « سيف الدين الآمدي » في مخطوطته « كتاب أبكار

الافكار» كان فيما يخص الصابئة على الاطلاق ، وفي مختلف عصورها القديمة ، ونحن نعلم أن الصابئة اسم لأمة عاشت في اوقيات مختلفة ، وعصور متباينة ؛ وأن ذكرها قد ورد في كتب مقدسة ، وأخرى تاريخية قديمة ، مما لا بد من الاشارة اليه ولو اشارة طفيفة ، وإن كان بحثنا الرئيسي يستهدف « صابئة البطائح » الذين ينتشرون على ضفاف الانهر الكبيرة في جنوبي العراق .

ومن المتعذر جداً ان يوفق الباحث في المذاهب والمعتقدات لمعرفة ما بين فرق الصابئة من الرابطة ، فقد ذكر القرآن قسماً من الصابئة نعتقد أنه انقرض وعفت اخباره ، وذكر المؤرخون قسماً آخر من الصابئة عرف « بالصابئة الحرامية » لا نرى علاقة له بصابئة العراق الحاليين ، وسنعالج هذه الاقسام فيما يلي بقدر ما وصل اليه علمنا القليل

✽ صابئة القرآن ✽

ورد ذكر «الصابئة» في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع :

الاول - في الآية ٦٢ من السورة الثانية «سورة البقرة» قوله تعالى :

« إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ »

الثاني - في الآية ٦٩ من السورة الخامسة «سورة المائدة» قوله عز من قائل :

« إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » إه

الثالث - في الآية ١٧ من السورة ٢٢ «سورة الحج» قوله جل جلاله :

« إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ » إه

قال الفضل بن الحسن الطبرسي المتوفى سنة ٥٥٢ هـ ١١٥٧ م « وهو من أكابر

علماء الامامية في القرن السادس» في تفسير كلمة «الصابئة» الواردة في سورة البقرة :
 « والصابئون جمع صابئ ؛ وهو من انتقل إلى دين آخر . وكل خارج من دين كان
 عليه إلى آخر غيره سمي في اللغة صابئاً . قال أبو علي ، قال أبو زيد : صبأ الرجل في دينه
 يصبأ صبواً إذا كان صابئاً ، وصبأ ناب الصبي يصبأ صبئاً إذا طلع ، وصبأت عليهم نصباً
 صبأ وصبوا إذا طلعت عليهم ، وطرأت مثله ، فكأن معنى الصابئ التارك دينه الذي
 شرع له ، إلى دين غيره . كما أن الصابئ على القوم تارك لأرضه ومنتقل إلى سواها
 والدين الذي فارقه هو تركهم التوحيد إلى عبادة النجوم أو تعظيمها . قال قتادة :
 وهم قوم معروفون ، ولهم مذهب يتفردون به ؛ ومن دينهم عبادة النجوم ، وهم يقرون
 بالصانع ، وبالمعاد ، وبعض الأنبياء . وقال مجاهد والحسن : الصابئون بين اليهود
 والمجوس لا دين لهم ، وقال السدي : هم طائفة من أهل الكتاب يقرأون الزبور ؛
 وقال الخليل : هم قوم دينهم شبيه بدين النصارى إلا أن قبلتهم نحو مهب الجنوب ،
 حيال منتصف النهار ، يزعمون أنهم على دين نوح . وقال ابن زيد : هم أهل دين من
 الأديان كانوا بالجزيرة ، جزيرة الموصل ، يقولون لا إله إلا الله ولم يؤمنوا برسول
 الله فمن أجل ذلك كان المشركون يقولون للنبي ﷺ ولا أصحابه : هؤلاء الصابئون
 يشبهونهم بهم ، وقال آخرون : هم طائفة من أهل الكتاب ، والفقهاء بأجمعهم يميزون
 أخذ الجزية منهم ، وعندنا لا يجوز ذلك لأنهم لبسوا بأهل كتاب »^(١)

❦ الصابئة الحرائفة ❦

قال أبو الفرج محمد بن اسحق بن محمد بن اسحاق الوراق البغدادي المعروف بابن
 النديم ، المتوفى نحو عام ٣٨٥ هـ (٩٩٥ م) .

« قال أبو يوسف أيشم القطيعي النصراني في كتابه في الكشف عن مذاهب
 الحرايين المعروفين في عصرنا بالصابئة : « إن المأمون اجتاز في آخر أيامه بديار مضر

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن ١/ ١٢٦ صيدا ١٣٤٣ مطبعة العرفان

يريد بلاد الروم للغزو ، فتلقاه الناس يدعون له ، وفيهم جماعة من الحرثانيين ؛ وكان
زيهم إذ ذاك لبس الأقبية ؛ وشعورهم طويل بوفرات كوفرة قوة جد سنان بن ثابت
فأنكر المأمون زيهم وقال لهم من أنتم من الذمة ؟ فقالوا : نحن الحرثانية ؛ فقال أنصاري
أنتم ؟ قالوا لا ؛ قال فيجوس أنتم ؟ قالوا لا ؛ قال لهم أفلكم كتاب أم نبي ؟
فجمعهم في القول . فقال لهم فأنتم إذن الزنادقة ؛ عبدة الأوثان ، وأصحاب الرأس
في أيام الرشيد والدي ، وأنتم حلال دماؤكم ، لا ذمة لكم ؛ فقالوا : نحن نوادي
الجزية ؛ فقال لهم إنما تؤخذ الجزية ممن خالف الإسلام من أهل الأديان الذين ذكركم
الله عز وجل في كتابه ، ولهم كتاب ، وصالحه المسلمون عن ذلك فأنتم ليس من
هؤلاء ولا من هؤلاء فاختاروا الآن أحد أمرين : إما أن تنتحلوا دين الإسلام ، أو
ديناً من الأديان التي ذكرها الله في كتابه ، وإلا قتلناكم عن آخركم فإني قد أذرتكم
إلى أن أرجع من سفرتي هذه فإن أنتم دخلتم في الإسلام أو في دين من هذه الأديان
التي ذكرها الله في كتابه وإلا أمرت بقتلكم واستئصال شأفتكم . ورحل المأمون
يريد بلد الروم فغيروا زيهم وحلقوا شعورهم وتركوا لبس الأقبية ، وتنصر كثير
منهم ولبسوا زناير ، وأسلم منهم طائفة ، وبقي منهم شرذمة بحالهم ، وجعلوا يحتالون
ويضربون حتى انتدب لهم شيخ من أهل حران فقيه فقال لهم : قد وجدت لكم
شيئاً تنجون به وتسلمون من القتل ؛ فحملوا إليه مالا عظيماً من بيت مالهم ، أحدثوه
منذ أيام الرشيد إلى هذه الغاية ، أعدوه للنوائب وأنا أشرح لك أيديكم الله السبب في
ذلك فقال لهم : إذا رجعت المأمون من سفره فقولوا له : نحن الصابئون فهذا اسم دين
قد ذكره الله جل اسمه في القرآن فانتحلوه فأنتم تنجون به . وقضي أن المأمون توفي
في سفرته تلك بالبدندون وانتحلوا هذا الاسم منذ ذلك الوقت لأنه لم يكن بجران
ونواحيها قوم يسمون بالصباية . فلما اتصل بهم وفاة المأمون ارتد أكثر من كان تنصر
منهم ؛ ورجع إلى الحرثانية وطولوا شعورهم حسب ما كانوا عليه قبل مرور المأمون

بهم على أنهم صابئون ، ومنعهم المسلمون من لبس الاقية لأنه من لبس أصحاب
السلطان ، ومن أسلم منهم لم يمكنه الارتداد خوفاً من أن يقتل فأقاموا متسترين
بالإسلام ، فكانوا يتزوجون نساء حرانيات ، ويجعلون الولد الذكر مسلماً ، والانشى
حرثانية . وهذه كانت سبيل كل أهل ترعوز وسلمسين : القريتين المشهورتين العظيمتين
بالقرب من حران الى منذ نحو عشرين سنة فإن الشيخين المعروفين بأبي زرارة وأبي
عروبة ، علماء شيوخ أهل حران بالفقه والأمر بالمعروف ونسأ مشايخ أهل حران
وفقهاءهم احتسبوا عليهم ، ومنعهم من أن يتزوجوا بنساء حرانيات ، أعني صايبات ،
وقالوا لا يحل للمسلمين نكاحهم لأنهم ليسوا من أهل الكتاب . وبجران أيضاً منازل
كثيرة إلى هذه الغاية ؛ بعض أهلها حرثانية ممن كان أقام على دينه في أيام المأمون ،
وبعضهم مسلمون ، وبعضهم نصارى ممن كان دخل في الاسلام وتنصر في ذلك الوقت
الى هذه الغاية مثل قوم يقال لهم بنو أبلوط ، وبنو قيطران وغيرهم مشهورين بجران^(١)

هذا هو النص الذي أثبتته (ابن النديم) في « فهرسته » عن « صابئة حران »

والذي يظهر من أسئلة المأمون لهؤلاء القوم ، الذين صادفهم في سفره ؛ والذين
لم يكن على علم بهم ، مع ما كان عليه من سمعة العلم ، وواسع المعرفة والاطلاع على
مختلف الأديان والنحل ، حيث كان يجتمع في مجلسه العلمي رؤساء المذاهب والأديان
على اختلافها ، أنهم لم يكونوا في بدء الأمر صابئة ، وليس لهم علاقة بالصابئة الذين
ورد ذكرهم في القرآن الكريم ، يدلنا على ذلك أنهم فكروا في الأمر ملياً ، وأنهم
اضطروا إلى أن يستشيروا فقهاء حران وعلماءها وشيوخها في الأمر ، فلو أنهم كانوا
من فرق الصابئة لما أشكل هذا الأمر عليهم ، ولما احتاجوا إلى أن يفتحوا هذا
الاسم انتحالا

(١) الفهرست لابن النديم ص ٣٢٠ - ٣٢١ من طبعة لايسك سنة ١٨٧١

وكانت وفاة المأمون في عام ٢١٨ هـ (آب ٨٣٣ م) فيكون «الحرانيون» قد انتحلوا هذا الاسم من ذلك الوقت ، ولم يكن بجران قوم يسمون أو يعرفون بالصابئة قبل هذا العام .

على أننا نعرف من تاريخ الصابئة الحاليين ، هم أقرب إلى الصابئة الأقدمين من غيرهم ، أنهم يعيشون على ضفاف الأنهر : كدجلة ، والفرات ، وشط العرب ، و كارون وانه لا أثر لديانة الصابئة في حران ولا معبد لهم مقدساً هناك ، وما شوهد من طقوسهم الدينية ، وطرز معيشتهم ، وعبادتهم ؛ وانتسابهم إلى الأرض التي يسكنونها دون العبادة التي يعبدونها ؛ كل ذلك يدلنا على أن (الحرانية) دين قديم أراد أصحابه الإبقاء عليه فانتحلوا له اسم (الصابئة) انتحالا .

وقد نقلت عدة مراجع (كلام ابن النديم) على علاته ؛ ونقله علماء ومستشرقون من الألمان إلى كتبهم فلم يناقشوه ؛ مع ما عرف به الألمان ، وسائر المستشرقين ، من التمهيط والتدقيق ، فكأنهم اكتفوا بهذا الكلام ، ولم يفرقوا بين ما ذكره القرآن من الصابئة ، وبين (الصابئة الحرانية)

قال الإمام أبو الفتح : محمد بن عبد الكريم الشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨ هـ (١١٥٣ م) يصف (الصابئة الحرانية) وعقائدهم ما نصه :

(هم جماعة من الصابئة قالوا الصانع المعبود واحد كثير ، أما الواحد ففي الذات والأول والأصل والأزل ؛ وأما الكثير فلا أنه يتكثر بالأشخاص في رأي العين ، وهي المدبرات السبع ، والأشخاص الأرضية الخيرة العاملة الفاضلة ، فإنه يظهر بها ويتشخص بأشخاصها ؛ ولا تبطل وحدته في ذاته ، وقالوا هو أبدع الفلك ، وجميع ما فيه من الأجرام والكواكب ، وجعلها مدبرات هذا العالم ، وهم الآباء ، والعناصر أمهات ، والمركبات مواليد ، والآباء أحياء ناطقون ، يؤثرون الآثار إلى العناصر

فتقبلها العناصر في أرحامها ، فيحصل من ذلك المواليد ، ثم من المواليد قد يتفق شخص
مركب من صفوها دون كدرها ، ويحصل مزاج كامل الاستعداد فيتشخص الإله
به في العالم ، ثم ان طبيعة الكل تحدث في كل إقليم من الأقاليم المسكونة على رأس
كل ستة وثلاثين ألف سنة وأربعمائة وخمس وعشرون سنة زوجين من كل نوع من
أجناس الحيوانات ذكراً وأنثى ، من الإنسان وغيره ، فيبقى ذلك النوع تلك المدة ،
ثم إذا انقضى الدور بتمامه انقطعت الأنواع نسلها وقوادها فيبتدىء دور آخر ، ويحدث
قرن آخر من الإنسان والحيوان والنبات ، وكذلك أبد الدهر ، قالوا وهذه هي
القيامة الموعودة على لسان الأنبياء ، وإلا فلا دار سوى هذه الدار ، وما يهلكنا إلا
الدهر ، ولا يتصور إحياء الموتى ، وبعث من في القبور ، «أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم
تراباً وعظاماً انكم مخرجون ، هيهات هيهات لما أوعدون» ، وهم الذين أخبر التنزيل
عنهم بهذه المقالة ، وإنما نشأ أصل التناسخ والحلول من هؤلاء القوم ، فإن التناسخ
هو أن يتكرر الأكوار والأدوار إلى ما لا نهاية ، ويحدث في كل دور مثلاً حدث
في الأول . والثواب والعقاب في هذه الدار ، لا في دار أخرى لا عمل فيها ، والأعمال
التي نحن فيها إنما هي أجزية على أعمال سلفت منا في الأدوار الماضية ، والراحة والسرور
والفرح والدعة التي نجدها هي مرتبة على أعمال البر التي سلفت منا ، والغم ، والحزن ،
والضنك والكلفة التي نجدها هي مرتبة على أعمال الفجور التي سبقت منا ، وكذا كان
في الأول ، وكذا يكون في الآخر ، والانصرام من كل وجه غير متصور من الحكيم
وأما الحلول فهو التشخص الذي ذكرناه ، وربما يكون ذلك بحلول ذاته ، وربما يكون
بحلول جزء من ذاته على قدر استعداد مزاج الشخص ، وربما قالوا إنما تشخص بالهياكل
السمائية بأكملها ، وهو واحد إنما يظهر فعله في واحد واحد بقدر آثاره فيه ، وتشخصه
به فكأن الهياكل السبعة أعضاؤه السبعة و كأن أعضاءنا السبعة هياكله السبعة ،
فيها يظهر فينطق بلساننا ، ويبصر بأعيننا ، ويسمع بأذاننا ، ويقبض ويبسط بأيدينا ،

ويجيئ ويذهب بأرجلنا ، وبفعل بجوارحنا . وزعموا أن الله تعالى أجل من أن يخلق الشرور والقبايح والاقذار والخنافس والحيات والعقارب ، بل هي كلها واقعة ضرورة بالصلوات الكواكب سعادة ونحوه ، واجتماعات العناصر صفوة وكدورة ، فما كان من سعد وخير وصفوة ، فهو المقصود من الفطرة فينسب إلى الباري تعالى ؛ وما كان من نحوه وشر وكدر فهو الواقع ضرورة فلا ينسب إليه بل هي إما اتفاقيات وضروريات وأما مستندة إلى أصل الشرور والاتصال المذموم ، والحرثانية ينسبون مقاتلتهم إلى عاذيمون وهرمس وأعيان وأواذي : أربعة من الأنبياء ، ومنهم من ينسب إلى سولون جد أفلاطون لأنه ؛ ويزعم أنه كان نبياً ، وزعموا أن أواذي حرم عليهم البصل والحريث والبقالي ، والصايون كلهم يصلون ثلاث صلوات ويفتسلون من الجنابة ، ومن مس الميت ، وحرّموا أكل الخنزير ، والجذور والكلب ، ومن الطير كل ماله مخلب ، والحمام ، ونهوا عن السكر في الشراب ، وعن الاختتان ، وأمرؤ بالتزويج بولي وشهود ، ولا يجوزون الطلاق إلا بحكم الحاكم ، ولا يجمعون بين امرأتين ، وأما الهياكل التي بناها الصابية على أسماء الجواهر العقلية الروحانية ، وأشكال الكواكب السماوية ، فمنها هيكل العلة الأولى ، ودونها هيكل العقل ، وهيكل السياسة ، وهيكل الضرورة ، وهيكل النفس مدورات الشكل ، وهيكل زحل مسدس ، وهيكل المشتري مثلث ، وهيكل المريخ مربع مستطيل ، وهيكل الشمس مربع ، وهيكل الزهرة مثلث في جوف مربع ، وهيكل عطارد مثلث في جوفه مربع مستطيل وهيكل القمر مثن « اه »^(١)

✽ صائفة البطائع ✽

يعيش بين ظهرانينا في العراق قسم من أناس لهم تقاليدهم ، ولهم عاداتهم ولقبتهم

(١) الشهرستاني «الملل والنحل» ص ٢٤٨ - ٢٥١ ج ٢ من طبعة لندن ١٨٤٢

ويكادون أن يكونوا ممتازين بكل مظاهر حياتهم، وحتى بأشكالهم وسحنة وجوههم ويطلق عليهم اسم الصابئة .

وقد يكون هؤلاء هم الصابئة الأصليون وقد لا يكونون ؛ إلا ان الشيء المحقق عندنا هو أن قسماً كبيراً من عبادة الصابئة القديمة ، وطقوس دينهم ؛ بارزة بين معتقدات هؤلاء القوم وبين طقوسهم الدينية ، كاحترام النجوم ، واستقبال نجم القطب وتكريم الكواكب السيارة وغير ذلك من أصول الدين الصابئي مما يتدين به هذا المجموع الممتاز .

وقد يتعرف الباحث من اللغة التي يتكلم بها هؤلاء^(١) ومن إسهالهم شعور رؤوسهم ولحاهم ، أنهم شعب غريب نزع الى هذه البلاد واستوطنها واحتفظ بما له من عادات وتقاليد ، والتزم بالسكن على ضفاف الأنهر ، وبقرب المياه الجارية ، نظراً لما يقيمه من الطقوس الدينية التي لا تتم الا بالارتماس في الماء الجاري ، لهذا عرف هذا القسم من الناس بصابئة البطائح ، نسبة الى بطائح العراق المشهورة^(٢)

(١) يتكلم الصابئون الحاليون اللغة المندائية ؛ وهي لغة سامية قريبة من السريانية ، وكانت مشهورة في قديم الزمان .

(٢) البطائح - مفردا البطيحة - مجتمع سيب المياه ، يقال تبطح المياه إذا سالت واتسعت في الأرض . وفي جنوبي العراق بطائح كثيرة يرجع سبب وجودها الى ان دجلة انبثقت في أيام قباذ بن فيروز بثقا عظيماً بالقرب من كسكر فأغفل أمرها حتى غلب ماؤها وغرقت القرى العامرة التي كانت بالقربه وبجواره فتكونت بطائح من « واسط » الى ظهر « البصرة » ولما كان أيام انوشروان العادل زحم الماء بالمسبات فعادت تلك الارضون الى حالها القديم ، فلما كانت أيام ابنه ابرويز ارتفع الماء عام ٧ للهجرة في دجلة والفرات ارتفاعاً عظيماً ، وانبثقت بشوق كبيرة لم تقو جهود الملك على درء خطرهما ولما جاء المسلمون انشغلوا بالحروب وكانت البشوق تنفجر ولم يلتفت إليها حتى إذا كانت أيام الحجاج كبرت البطائح واستفحل أمرها ففوض امر سدها إلى مسلمة بن عبد الملك بعد أن أقطعها إياها ولكن أمرها بقي مستفحلاً إلى هذا الزمن فإذا ارتفع الماء في دجلة والفرات عادت البطائح إلى ما كانت عليه في أيام الفرس وفي صدر الاسلام .

اما ان هذا الشعب قد انحدر من الصابئة الذين ذكرهم الفرقان المبين ، أو انه من بقايا الحرائين الذين انتحلوا ديانة الصابئة في أيام المأمون العباسي في عام ٢١٨هـ (٨٣٣م) ليتحاموا مع نعتيائه الدينية فأمر مشكوك فيه ، ومو كول الى فحص التاريخ الدقيق قال « المسعودي » المؤرخ المشهور المتوفى عام ٣٤٥هـ (٩٥٦م) في أثناء بحثه عن ملوك الفرس ومجمل أخبارهم وسيرهم ما نصه :

« ثم ملك بعده طهمورث بن نوبجهان بن أرفخشذ بن اوشهنج ، وكان ينزل سابور ، وظهر في سنة من ملكه رجل يقال له بوداسف أحدث مذهب الصابئة وقيل فيهم : ان معالي الشرف الكامل والصلاح الشامل ومعدن الحياة في هذا السقف المرفوع : وان السكوا كب هي المديرات والواردات والصادرات ، وهي التي في بروزها من أفلاكها ، وقطعها مسافاتها ، واتصالها بنقطة وانفصالها عن نقطة ، سبب ما يكون في العالم من الآثار ، من امتداد الأعمار وقصرها وتو كيب البسائط والبساط المركبات ، وتنميص الصور وظهور المياه ، وغيضها ، وفي النجوم السيارة وفي أفلاكها التدبير الأعظم ؛ وغير ذلك مما يخرج وصفه عن حد الاختصار والايجاز ، فاجتذب جماعة من ذوي الضعف في الآراء فيقال ان هذا الرجل أول من أظهر مذهب الصابئة من الحرائين والكميرانيين . وهذا النوع من الصابئة مبايتون للحرائين في نحلتهن ، وديارهم بين بلاد واسط والبصرة من أرض العراق نحو البطائح والآجام فكان ملك طهمورث الى أن هلك ثلاثين سنة وقيل غير ذلك ^(١) »

وقال (ابن القفطي) المتوفى عام ٦٤٦هـ (١٢٤٨م)

(فإن ابا حنيفة وصاحبيه ؟ ابا يوسف ومحمد ، اختلفوا في نكاح الصابئة وأكل ذبائحهم ، فعزمها ابو حنيفة واحلها صاحبيه فقال أصحابهم انه ليس بخلاف على الحقيقة

(١) مروج الذهب (١١١/٢-١١٢) باريس ١٨٦٣ .

وانما هو خلاف في الفتوى لأن أبا حنيفة سئل عن الصابئين الحرائين ، وهم معروفون بعبادة الكواكب ، فأجروهم مجرى عبدة الأوثان في تحريم المناكحة والذباحة ، وصاحبه سئلا عن الصابئين السكان بالبطيحة ، وهم فرقة من النصاري يؤمنون بالمسيح (ع) فأجابا بجواز ذبائحهم ومناكحتهم . ولو سئل أبو حنيفة عن هؤلاء لآفتى بفتوى صاحبيه ، ولو سئل صاحبه عن الفرقة التي عنا لافتيا بمثل قوله ^(١) «

فالذي يظهر من قولي (المسعودي) و (ابن القفطي) أنه لا علاقة بين (صابئة البطائح) في العراق ، وبين (صابئة حران) على الرغم من اشتراك القومين في الاسم ، وعلينا الآن أن نبحث عن منشأ الصابئة المنتشرين في السواحل الايرانية وفي جنوب العراق

قال نبودور برقوني ، الذي عاش في الجيل السابع للميلاد ، عند ظهور الاسلام في كتابه (الاسكوليون) وهو تفسير للكتاب المقدس : طبعه السيد أدري شير بلغته الآرامية في مجلدين في باريس (١٩٠٨-١٩١٢) ما تعريبه :

(يروي أن رجلا يدعى آدو وضعن وعائلته من حدياب إلى ميسان للتسول . وكان أبوه يسمى دبدا ، وأمه أم كسطا . . . وعند وصولهم إلى نهر كارون صادفوا رجلا يدعى بابا بن ثينيس فطلبوا منه صدقة ، على جاري عادتهم ، وأقنعوه بإبقاء آدو في خدمته ، وكان آدو - هذا - مريضاً كسولاً لا يستطيع التسول ، فأرسله بابا إلى حراس بساتين النخيل لتشفيله ، ولكن هؤلاء رفضوا قبوله لعدم صلاحه للعمل ، فاضطر أن يبني له كوخاً على قارعة الطريق ليستدر أكف المحسنين من المستطرقين ، فانضم اليه أصحاب كثيرون ، وصاروا يدقون الاجراس على عادة التسولين . ويدعى هؤلاء في منطقة ميسان المتداوية ، وهم شيعة من تلك التي أنت

(١) كتاب « تاريخ الحكماء » لجمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف المعروف بابن القفطي

أعمالاً صالحة في منطقة بيت أراماوي ويسمون الناصريين أو أتباع الدستانية . إلا أن أحسن اسم ينطبق عليهم الآدونييين الذين أخذوا تعاليمهم الدينية عن المرقيونيين ، والمناويين ، والكنثيين ، وغيرها من الفرق الصابئية) ثم توسعت هذه الطائفة على مر السنين وسموا بالصابئة ، أي المنسلة ، لأن جميع طقوسهم الدينية لا تتم إلا بالاغتسال في الماء الجاري ^(١)

وكتب البنا المستشرق الألماني المعروف (الدكتور هـ . ريتز) رسالة خاصة في ٢١ كانون الأول ١٩٣١ م جاء فيها :

(أما الصابئة فالمشهور عندنا أن لا مناسبة أصلاً بين صابئة العراق وصابئة حوران على رغم اشتراك الطائفتين بالاسم . ومعلوم أن هذا الاسم اتخذوه أصحاب الأديان الغير ذمية من القرآن ليتحاموا به عن التعقيدات الدينية . فصابئة دجلة هم طائفة من اليهود تبرأوا من اليهودية وتبعوا يوحنا المعمدان ثم لما رأوا أن أتباع عيسى غلبوا على أتباع المعمدان ، هاجروا من الاردن الى نهر آخر يجري من الشمال الى الجنوب وهو دجلة . ودين الحرايين هو من بقايا دور اختلاط الذي كان يغلب على الممالك الرومانية قبل الميلاد وبعده حتى غلبت عليها النصرانية . ويوجد بعض اخبارهم في رسائل اخوان الصفا وفي غاية الحكيم المنسوب الى أبي سلمة الجربطي ، وخاصة في كتاب السر المكتوم في مخاطبة النجوم للفخر الرازي الذي لم يطبع إلى الآن ^(٢)) اهـ

أما رواية (الصابئة المندائية) عن كيفية انقاعهم من الأردن إلى العراق فتتلخص في هذه الاقصوصة :

(بعد أن خرج يحيى من الأرض خلف لهم ثلاث مئة وستة وستين تلميذاً بين أساقف و كهنة ، ولبثت شيعته كلها مقيمة بببيت المقدس ، وابتنوا لهم كنيسة بجانب

1 - H. Pognon Inscription Mandaites des coupes de khoubair P. 224
" Paris 1898 "

(٢) لدينا نسخة من كتاب « السر المكتوم في أسرار النجوم »

هيكل اليهود . وكان لأعازار زعيم اليهود ، بنت يقال لها مارياء ، وكانت شديدة
 الورع فكانت تختلف كل يوم إلى الهيكل ، فاتفق يوماً أنها سعت عن باب الهيكل
 فدخلت الكنيسة ، وكان الصابئة يقيمون صلاتهم فلم تشعر إلا وهي في وسط الكنيسة
 فلبثت في مكانها حتى فرغوا من الصلاة فأعجبها ما رأت عندهم ، ومالت إلى الدخول
 في مذهبهم . ومنذ ذلك اليوم جعلت تتردد على نساء أساقفتهم وكنهنهم تتلقن عقائدهم
 حتى اشربت دينهم ، وواظبت على حضور صلواتهم كل يوم أحد ، ونزعت ملابسها
 وحلبها ولبست البياض ، على ما هي سنة المتقين منهم ، فأنكرت ذلك أمها عليها فأعلمتها
 أنها قد اتبعت دين الصابئة ، فنهتها فلم تنته ، فأعلمت أباهما بالأمر ، فزجروا وتهدها
 فلم ينف ، وآخر الأمر ذهب الأعازار فجمع رؤساء اليهود وتأمروا على قطع دابر
 الصابئة ، ثم أغروا العامة بذلك فوثبوا عليهم وقتلوه ، ولم ينج منهم إلا نفر قليل
 تمكنوا من الفرار ، حينئذ هبط آنوش أمرا بشكل باز وضرب اليهود بجناحيه فالتقاهم
 في النهر . ثم ضرب الماء فهاج وأزبد وغمرتهم أمواجه فهلكوا عن آخرهم . وبعد
 ذلك جمع بقايا الصابئة ودمر بيت المقدس ثم أخرجهم إلى بلد آخر فأسكنهم فيه ،
 واختار من بينهم رجلين أخوين يقال لأكبرهما فروخ وأصغرهما ملكا ، وللآخر آوردوت
 ملكا فقلدهما رئاستهم ، وولاهما الدفاع عنهم . ثم انقلب عائداً إلى عالم الأنوار .
 وبعد أن أتى على ذلك ما شاء الله ، تكاثرت عدد الصابئة واليهود جداً . وفي ذلك الزمن
 ظهر موسى ، نبي اليهود ، فعزم على أن ينتقم لمن هلك منهم على يد آنوش أمرا ، وكان
 في نفس فروخ ملكا مثل ذلك من طلب نأر الصابئة الذين قتلهم الأعازار لكن جاءت
 رسالة من أوأثار ينهاه عن قتال موسى ، ويأمره أن يهاجر إلى بلد آخر يقيم فيه بجماعته
 فأعرض عن طاعته ، وأصر على طلب الحرب . ولما تصاف الجيشان ، خرج موسى
 وفروخ ملكا فتبارزا وطال بينهما الكر والفر ، وأخيراً أسفر الأمر عن هزيمة موسى
 وكان البحر قريباً منهم فاقتحمه موسى فانشق أمامه ، فعبور إلى وسط البحر ووقف

هناك حتى عبر جيشه كله ، وعبر هو آخرهم ، وتبعهم فروخ ملكا بجماعته فأطبق البحر عليهم فهلكوا بأجمعهم ، ولم ينج إلا فروخ ملكا وأخوه وثلاثون نفساً من الصابئة من رجال ونساء كانوا قد ادر كوا البر في وقت خروج موسى فاشتى موسى اليهم ليأتي عليهم ، فانهمزوا من وجهه ، وما زالوا في هزيمتهم تلك حتى لحقوا بشستر من أرض فارس^(١)

هذه هي نهاية المعلومات التي جمعناها عن (الصابئة قديماً وحديثاً) وعن فرقهم ومنشأ ديانهم من وجهة تاريخية بجملة ، أما ما سندخل فيه بعد قليل ، فهو البحث في عقائدهم وطقوسهم الدينية

وربما كان في دراسة العقائد والطقوس — على ما هي عليه من التقطع والخبط والخلط — كثير من الفوائد التاريخية ، وما بأيدينا من المعتقدات انما هو مجموع ما يتدين به صابئة البطائح اليوم ، وقد علمنا أن في طقوس هؤلاء وآدابهم الدينية جملة من شعائر الصابئة الأقدمين ، ومع ذلك فسنضطر في بحثنا هذا الى ذكر بعض ما توصلنا اليه من عقائد (الصابئة الحرائية) التي نرى ان هناك فروقاً جوهرية تستدعي أفرادها بالذكر ، وتعيينها من بين مواضع البحث

اما مصادر ما سندكره فننحصر في التحريات الشخصية ، والمشاهدات العينية ، والنقل عن ما ديجته اقلام بعض الكتاب والمؤرخين والمؤلفين ، وكله مما تطمئن اليه النفوس اطمئناناً دون ان نعص عليه بضرر يقين القاطع ، لما بين تلك المباحث والآراء من التباين الظاهر وكفى ان يكون ما نكتبه في الموضوع خدمة تاريخية بذلنا فيها الجهد ، وأفرغنا فيها الوسع ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر .

معتقدات الصابئة المندائية

الخالق جل شأنه

تعتقد الصابئة «المندائية» أن الخالق واحد أزلي أبدي، لا أول لوجوده ولا نهاية له، منزّه عن عالم المادة والطبيعة، لا تناله الحواس ولا يفيض اليه مخلوق؛ وأنه لم يلد ولم يولد، وهو علة وجود الأشياء ومكوّناتها.

ولا يختلف اعتقادهم في الخالق هذا عن اعتقاد المسلمين فيه.

ويُلي الإله في المنزلة (٣٦٠) شخصاً^(١) خلقوا ليفعلوا أفعال الإله إلا أنهم ليسوا بآلهة؛ ولا هم في عداد القديسين، لأنهم لم يكونوا بشراً مثلهم؛ ولا يعدون من الملائكة وإن كانوا صنفاً منهم، لأن بعض هؤلاء يمارس أعمال الخلق كـ «ماري أدربوثا» و«هيل زيو» وهم يعلمون كل شيء، ويعرفون الغيب، ولكل منهم مملكة في عالم الأنوار «آمي دنهورا» أما أصل وجودهم فإنهم ليسوا بمخلوقين - كبقية الكائنات الحية - ولكن الله ناداهم بأسمائهم فخلقوا، وتزوجوا بنساء من صنفهم، وأصبح لهم أولاد وبنات، ولكن نسلهم هذا ليس ثمرة زواجهم، لأن الواحد منهم كان يلفظ كلمة فتحمل امرأته فوراً وتضع واحداً منهم.

إن هؤلاء ٣٦٠ شخصاً يعبدون الإله وبوحدونه، وجميعهم تحت إمرة (ماري

(١) يرى الكنزيرا الشيخ دجيل الشيخ عبدان الصافي: إن عدد الذين يلون الإله في المنزلة لا يبعد ولا يجهل وأنه ليس بـ (٣٦٠) شخصاً كما يقول زملاؤه.

أدربوثا) الذي هو أول زعمائهم وأعلام مقاماً^(١) ويليهِ (شيشلام رباً) و(مندادني) و(وهيبل زبوا) و(سام زبوا) و(هو مشبه) صاحب يوم الأحد و(سبيات هي) و(ماهزيل مالالا) والأخيران من النساء ، وثانيهما اسم الشجرة التي ترضع الأطفال في عالم الفردوس (آلي دنهورا) ومنهم أيضاً (أوثار راما) و(ابتاهيل زهريل) و(يحيي بوحننا) و(بهرام ربا)

وهم يعتقدون بالأرواح الخبيثة ويسمونها (مولوخون) ويقولون انها مختلفة الأديان ، فمنها صابئة ، ومنها يهود ونصارى ومسلمون ، ومن هذه الأرواح ما هو موكل بعذاب النفوس في (المطراثي) ومنها ما هو مغرى بتجربة البشر واستدراجهم إلى المعصية ، ومنها ما دأبه إلحاق الأذى بالناس ، فهم بمنزلة الجن عند غيرهم من أصحاب الأديان الأخرى .
بدء الخليقة

كان المخلوق الأول لله شخصاً روحانياً يدعى «هيي قدمايي» أي الحي القديم ، وقد خلقه الله وخلق معه عوالم كثيرة مملوءة بالنفوس المقدسة التي لا تحصى . ثم خلق الحي الثاني «هيي ثنيائي» أي المخلوق الثاني ، وخلق معه كذلك عوالم لا تعد مملوءة بالنفوس المقدسة أيضاً . ثم خلق «هيي إثلثائي» أي المخلوق الثالث ، وخلق معه ما خلق مع سابقه ؛ وهذه النفوس التي تقطن هذه العوالم ينقسمون بين قسمين حسب ربهم : عوام

(١) ترى الصابئة ان المخلوق الأعظم «ماري أدربوثا» أراد أن يرسل هدبة ذات يوم إلى أوثاروفتاهيل فندب «شيشلام ربا» للقيام بهذه المهمة ولكن الشخص المنتدب رفض القيام بهذه المهمة فغضب «ماري أدربوثا» عليه وعاقبه بأن ألبس كل ما في مملكته من شجر وبقل ، وغيبض ما فيها من مياه ، وأهلك جميع أفراد أسرته . فتوجه «شيشلام ربا» إلى الملأ الأعلى من رصفاته ليشفعوا له عند «ماري أدربوثا» ليصفح عنه فلما كلمه هؤلاء في موضوعه قص عليهم ما كان من أمر المعصية فأخذوا يسكنون من غيظه حتى أذن لهم أن يمثل بين يديه فلما أدخل عليه ، خر على قدميه فمعا عنه . أي أنه أحبي زوجته وبنيه ، وأعاد نباته إلى خضرته ، والماء إلى مملكته .

وملوك ويسمى القسم الأول «أثري» والثاني (ملكي) ثم خلقت سبعة عوالم تدعى (آلي دهشوخا) أي عوالم الظلام التي تستمد نورها من الشمس، وسكانها الآن ينقسمون بين قسمين أيضاً عوام (أثري)، وملوك (ملكي) وأرضنا من جملة هذه العوالم السبعة . أما هيئة الأرض فهي عندهم مدوّرة ؛ ثابتة غير متحركة ، ولكن لها حركة خاصة ؛ وهي مقامة على هواءين : هواء خارجي وآخر داخلي وتحت الأرض ماء انبسط عليه . فلما أتم خلق الأرض أنزلت الملائكة من عالم الأنوار (آلي دنهورا) بذوراً للأشجار ؛ وفتحت طريقاً للهواء والماء الحياة الذي تقوم عليه حياة الأجسام النامية والحياة ، وهو واسطة ارتباط العوالم بعضها ببعض ، وفتحت طريقاً آخر للنور تستمد منه الشمس أشعتها لتغير بقية الكواكب بالواسطة

وتتكون السماء من سبع طبقات ، تقع الشمس في الطبقة الرابعة ، والقمر في السابعة ؛ والأرض والسماء مركبتان من مادتين : هما الماء والنار ، ومن هاتين المادتين تكونت الأرض والسماء ، وكذلك جميع المخلوقات الحية فإنها مركبة من طبقتين : هما الماء والنار ولكنها تمتاز بأربع طبائع أخرى وهي الصفراء والسوداء والبلغم والرطوبة

خلقة آدم

(كفره قدمابا) اسم لآدم عليه السلام ، أي أول الرجال ، أو آدم بفره أي آدم المادي ، وقد أراد الله أن يخلق آدم على صورته فأُنزل (إبتهيل) وهو ابن (هيبيل زبوا) أي جبرائيل إلى الأرض فخلقه تشبيهاً على صورته من التراب ، وخلق من ضلعه الأيسر زوجته حواء ، ثم أنزل الروح القدس في جسي آدم وحواء ، وعلم الملائكة آدم كل ما في الدنيا من صنائع وحرف ومن أجراء المياه ، ووضع عدد السنين والأشهر والأيام والأوقات وغير ذلك ؛ وأنزلت عليه الكتب المقدسة التي فيها فروض العبادة بأنواعها المختلفة ، ثم أمر الله ملائكة النار بالسجود لآدم فسجدوا إلا هابيشه (وهو إبليس)

فإنه لم يسجد إذ قال: (خلقني الله من نار، وخلق آدم من تراب؛ فكيف أسجد له؟) فلعله الله وطرده من الجنة ثم جرى التنازل بين آدم وولده على ماهو مسطور في موضع آخر الكون في نظر الصابئة

لنشوء فكرة السر والعلن عند الصابئة أثر كبير في كثير من المعتقدات، فهم يرون أن لكل كائن وجودين: علني وسري، وللكون أيضاً وجودان: كون سري بسمونه «مشوني كشطة» وكون علني بسمونه (أره تيبيل) أي الأرض التي تبلى؛



علماء الصابئة المندائية وشيوخهم البارزون

ويرون دائماً أن للوجود السري امتيازاً على الوجود العلني. فالعالم السري قطر فسبح أكبر من العالم العلني؛ الذي هو عالمنا المسكون، وهو مستور عنا لا يمكننا أن نشاهده حال حياتنا، وله شرف المنزلة بالقياس إلى عالمنا، فهو منه بمنزلة اليمين من الشمال وهذا الاعتبار، أي من اليمين إلى الشمال؛ يشاهد في كثير من تعابيرهم التي يقسمون بها الأشياء والموجودات

أما سكان هذا العالم فهم بشر مثلنا، إلا أنهم صابئة منزّهون عن كل وصمة، ولا يخلو هذا العالم من الموت والفناء أيضاً، فالبشر الذي فيه يموت كما نموت نحن، إلا أنه

ينتقل إلى عالم آخر يسمونه «آلي دنهورا» أي عالم الأنوار أو دار السعادة أو المقام
النعيم، من غير أن يمر بموضع من مواضع العذاب، وهذا ما يقابل عالم الأرواح عند
المسلمين، أما العالم الثاني «أره تبيل» فهو عالم الكون المادي المشاهد، الذي يطرا
عليه الفناء، وينتقل من فيه إلى عالم الأنوار بحسب درجته .

ولما كان الوجود السري مثلاً للوجود العلني؛ كان في العالم السري آدم مخصوص
يدعى «كاسيا» أي آدم المستور، وتدعى زوجته «كانات» أي تامة الجمال . كما أن
لعالمنا هذا آدم يدعى «آدم بفره» أي آدم المادي، وتسمى زوجته حواء .

ولكي يتخلص الصابئة من قضية الزواج بين الأخوة في بدء الخليقة، اضطروا
إلى القول بأن لكل من هذين الآدميين ابنة وولد، فجمع بينهما (هيل زيو) وهو
جبرائيل، في العالم المنظور، وزوج كلا من الولدين بأخت الآخر، ليتم التناسل البشري
على طريقة مشروعة، والصابئة تدعي - وفقاً لهذه الأسطورة - أنهم من أولاد آدم
غير المنظور، وابنة آدم المنظور

حديث الطوفان

إن حديث الطوفان عند الصابئة قريب كل القرب مما يروى في التوراة، حتى في
إطلاق الغراب والحمامة، إلا أنهم يقولون إن الحيوانات التي استصحبها نوح في الفلك
الذي بناه كانت كلها اثنين اثنين ذكرًا وأنثى، من كل نوع، وإن الذين كانوا معه في هذا
الفلك من البشر ثلاثة فقط وهم: امرأة نوح وابنه سام وزوجته . إذ لم يكن له قبل
الطوفان ولد آخر وإن نوحاً عليه السلام لما انفسر الماء نزل إلى اليابسة وحده يتمشى،
فاذاً بامرأة من الجن تراءت له بشكل امرأته، وأخذت تتمشى بجانبه، فأنكر نوح
خروجها من السفينة دون إذن منه، فقالت له إنها سئمت المقام في الفلك ولما رآته خارجاً
إلى اليابسة، خرجت مثله . ثم أنكر عليها اكتحالها وإرسالها شعرها، فردت عليه

(إن لنا زماناً ونحن محبوبون في هذا الفلك وحدنا فلم أبال بضفر شعري، وأما اكتحالي فلست أظن أن سكان عالم الأنوار - بعد هذا الامتحان الطويل - يناقشوننا في مثل هذا الأمر الطفيف) ثم دنت منه وأخذت تغالزه حتى استدرجته إلى المعصية، ظناً منه أنها زوجته، فوافاه صوت من (أواثار) يؤنبه على ما فعل، فعاد إلى الفلك فوراً وأخرج كل من كان فيه. وحملت المرأة التي خدعته، ووضعت له ثلاثة بنين وهم: حام ويافث ويامين، وكان كل منهم يتكلم بلغة تختلف لغة الآخر، ومن هؤلاء الثلاثة جاء السودانيون، والفرنجة، والترك. ولهذا فإن الصابئة لا يذكر نوحاً، ولا أحداً من أبنائه (حام ويافث ويامين) فيمن يستغيثون به من آبائهم الأولين لأن (أواثار) كان قد عاقب نوحاً على أن يبقى مرتعناً في (المطراثي) إلى أن ينتفضي العالم، ولأن أولاده الثلاثة المذكورين إنما كانوا أبناء غيّه، ولكنهم بقرون بولده سام الذي كان معه في الفلك ويكرمونه أحسن تكميم^(١).

عمر الدنيا

هذا بحث عن (عمر الدنيا) وما مضى عليهما من أزمان، وهو ما أخبر به الإله جل شأنه

(١) هذا ما جاء في الأصحاحين السابع والثامن من سفر التكوين من التوراة عن الطوفان : « وقال الرب لنوح أدخل أنت وجميع بيتك إلى الفلك لأنني إياك رأيت باراً لدي في هذا الجيل. من جميع البهائم الطاهرة تأخذ معك سبعة سبعة ذكراً وأنثى ومن البهائم التي ليست بطاهرة اثنين ذكراً وأنثى، ومن طيور السماء أيضاً سبعة سبعة ذكراً وأنثى لاستبقا. نسل على وجه الأرض لأنني بعد سبعة أيام أيضاً أمطر على الأرض أربعين يوماً وأربعين ليلة وأمحو عن وجه الأرض كل قائم عملته. ففعل نوح حسب كل ما أمره به الرب... وحدث بعد السبعة الأيام أن مياه الطوفان صارت على الأرض... في ذلك اليوم عينه دخل نوح وسام وحام ويافث بنو نوح وامرأة نوح وثلاث نساء بنيها معهم إلى الفلك وكل الوحوش... وكان الطوفان أربعين يوماً على الأرض وتكاثر المياه ورفعت الفلك فارتفع عن الأرض... فمات كل ذي جسد كان يدب على الأرض... وجفت الأرض وكلم الله نوحاً قائلاً أخرج من الفلك أنت وامراتك وبنوك ونساء بنيك معك وكل الحيوانات... أخرجها معك ولتولد في الأرض وتثمر وتكثر على الأرض » انتهى المقصود

آدم عليه السلام ، ونقله هذا إلى تلامذته . عربيه العالم الصابشي الشهير الشيخ دجيل
ابن الشيخ عيدان عن كتابهم الرئيس (الكنزاري) فنشرناه بحروفه حرصا على ما فيه
من معلومات طريفة :

« بعث الله آدم وزوجته حواء فتناسلا وكثر نسلهما في العالم ، ثم انقطع النسل
بسبب الحروب والوفاة ، ولم ينج من الهلاك إلا رجل واحد يدعى « رام » وتدعى زوجته
« رود » وكان ذلك بعد مرور :

٢١٦٠٠٠ مائتين وست عشرة الف سنة منذ ظهور آدم إلى عالم الدنيا حتى زمن « رام »
وزوجته « رود » ومن رام وزوجته هذه انتشر خلق كثير ، غير أن النار
التي شبت في أقطار العالم بعدئذ أدت إلى حرق الكثير من البشر ولكن
رجلا واحدا يدعى (شربا) وزوجته المسماة (شرهيل) نجيا من الموت .

١٥٠٠٠٠ وامتد التناسل بين أولاد رام مئة وخمسين الف سنة أخرى

١٠٠٠٠٠ وعاش أبناء (شربا) و (شرهيل) في الدنيا مع أولادهم مئة الف سنة

٤٦٦٠٠٠ ولما جاء الطوفان كان عمر الدنيا منذ الخليفة قد بلغ اربع مئة وست وستين
الف سنة . فبنى نوح الفلك ونجا من الفرق ؛ هو وزوجته وولده سام ، وبقيت
الدنيا في منجى من الاضمحلال طوال هذه المدة

ولندكر الملوك الذين ملكوا الدنيا بعد الطوفان بالتسلسل :

٩٠٠ فأول ملك ظهر بعد الطوفان كان (أردوان كريموط ملكا) فحكم تسع
مئة سنة

٦٠٠ وملك بعده (زرونيطارهموط) فدام ملكه ست مئة سنة

٥٥٠ ثم جاء بعده الملك (ليفوروش زهناك) فملك خمس مئة وخمسين سنة

١٠٠ وانحلت الامور مئة سنة أخرى فلم يحكم خلالها حاكم ما

- ٣٠٠ ثم قام الملك (أزدك بن أسباك بهران) فحكم ثلاث مئة سنة
- ٤٥٠ وجاء بعده (فريدون بن تديان) فملك أربع مئة وخمسين سنة
- ٥٠٠ ثم صار الحكم إلى (بشم بريمان) من أسرة (كر كوم) فحكم خمس مئة سنة
- وهذه الحكومات التي قامت بعد الطوفان إلى نهاية أيام (بشم بريمان)
- تسمى حكومات الفراعنة من المصريين الاقباط فيكون مجموع مدة حكم
- الفراعنة ثلاثة آلاف وأربع مئة سنة وبذلك يصبح
- ٤٦٩٤٠٠ مجموع عمر الدنيا منذ الخلق إلى تاريخ إنقراض الفراعنة أربع مئة وتسع
- وستين ألف وأربع مئة سنة
- ٦٠ وانتقل الحكم من الفراعنة إلى الفرس فملك (طروق) ستين عاماً
- ٥٠٣ وملك بعده (قياس) خمس مئة وثلاث سنوات
- ٦٠ ثم جاء (كيكسرو بن سيوخان) فملك ستين سنة
- ٣٠٠ ثم حكم (إيكاب بن برزيم) فكانت مدة حكمه ثلاث مئة سنة
- ٣٦٥ وقام بعده (أرهسف) فحكم ثلاث مئة وخمس وستين سنة
- ١٤ ثم انتقل الملك إلى ولده (كشتاسف) فكانت مدة حكمه أربع عشرة سنة
- ١١٢ وقام (أزدشير بن إسفنديار) بعده فملك مئة واثنى عشرة سنة
- ٨٠ ثم جاء نوربطاش بن هورزدان فحكم ثمانين عاماً
- ٤٧٠ ثم حكم (أشقان) فكانت مدة حكمه أربع مئة وسبعين سنة
- فيكون مجموع مدة حكم الفرس الأولى ألف وتسع مئة وأربعة
- وستون عاماً
- ٤٧١٣٦٤ ويكون مجموع عمر الدنيا إلى أواخر أيام حكم الفرس الأولى أربع مئة
- واحدى وسبعين ألف وثلاث مئة وأربع وستون سنة

٩٠٠ وبعد انقراض دولة الفرس الاولى حكم اليهود نسم مئة سنة
١٤ ثم قامت حكومة بابل وكان حكم أول ملوكها (أبروق سندير روهمايي)
أربع عشرة سنة

٤٦٥ وحكم بعده (أشقان) أربع مئة سنة وخمس وستين
١٤ ثم حكم (ويسديس وطبيان) ثم أردوان أربع عشرة سنة
فتكون مدة حكم البابليين أربع مئة وثلاث وتسعون سنة

٤٧٢٧٥٧ ويكون عمر الدنيا منذ بدء الخليقة إلى نهاية حكم البابليين ٤٧٢٧٥٧ عاماً
٣٨٢ وتولى الفرس الحكم مرة ثانية فحكموا ثلاث مئة واثنان وثمانين سنة
١٣٧٤ ثم ظهر الاسلام فحكم حتى الآن الف وثلاث مئة وأربع وسبعين سنة
٤٧٤٥١٣ وبذلك يكون عمر الدنيا منذ بدء الخليقة حتى الآن ٤٧٤٥١٣ عاماً
وسبقني العالم على شكله القائم ٢٦٥٥ عاماً حتى يظهر المسيح المرتقب، وهو غير
المسيح الاول الذي جاء إلى الدنيا بمظهر جسماني فتبدل العادات، وينبذ السلاح،
وتمحي الديانات: اليهودية والنصرانية والاسلامية، ويكون العالم على دين واحد،
وتستمر الحالة على هذا المنوال ستين الف سنة، ثم يرجع الامر إلى شريعة آدم السابقة،
ومنه إلى (هيبيل زيوا) فيبقى تحت حكمه خمسين الف سنة ثم يصير إلى امامات ويستمر
مئة وسبعين سنة ثم تنفي الارض لتعود إلى عالم الانوار. أي بقي من عمرها ١٢٨٢٥ سنة
فكرة الخير والشر

(فكرة الخير والشر) من الفكر التي بحث البشر فيها بحثاً مستفيضاً في الازمنة
القديمة والحديثة؛ وما زالت الآثار المستخرجة من بطون الارض ترينا تطور هذه
الفكرة واختلاف نظر البشر إليها. إلا أن هذه الاختلافات والتطورات تنحصر في
وجهات ثلاث:

أحدها يقول إن الله تعالى مكوّن الخير والشر ، كما انه خالق لهما ، وما العبد إلا آلة تصرفها الإرادة في الكلية ، لا حول له ولا قوة ولا اختيار
(وإن تُصِيبَهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ^(١))

وهذا ما دعاه المسلمون بفكرة الجبر

والثانية : ترى أن فاعل الخير والشر هو الانسان ، وأن الله جل شأنه مكوّن الأشياء كلها ، والعبد يملك إرادة جزئية واختياراً مطلقاً
« إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً »^(٢)

أما الثالثة : فتفصل وتري أن الخير من الله ، والشر من الانسان ، وللانسان عقل يميز بينهما فله أن يعمل الخير ، وله أن يرتكب الشر

« مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ »^(٣)

والصابغة ترى رأي الفريق الثاني ، أي أن الخير والشر موجودان من قبل الانسان وحادثان بفعله ، وإن إرادته الجزئية واختياره المطلق هو الذي يجعله مسوئلاً أمام الله ، وهم يرون أن الله جل شأنه رسم للانسان طريق الخير وطريق الشر فله الحرية المطلقة في إتيان ما يشاء ، وترك ما يشاء .

اعتقادهم في الجدي

ليس للصابغة المندائية اعتقاد خاص بالجدي ، غير أنهم يقولون انه : لما كانت وظائف النجوم السيارة السبع^(٤) حراسة الأقاليم السبعة ، وتنوير أفكار الساكنين فيها ،

(٢) سورة الدهر : الآية ٣

(١) سورة النساء : الآية ٧٨

(٣) سورة النساء : الآية ٧٩

(٤) وهي : عطارد والزهرة وزحل والمريخ والسنبلة والعقرب والميزان

ودفع النحس عنها، وجلب الخير إليها، فإن النجم الموكل على آسما «موظن الصابئة» هو المريخ «ويسمونه تبرغ» أما الجدي فهو محل القياس لأنه ثابت في محله لا يتحرك ولأنه متوجه دائما إلى ملك الانوار، وبذلك يكون اتجاه الصابئة إلى الله الواحد الأحد وهم لا يتممون سنة من سنينهم، ولا عملا دينيا من أعمالهم، إلا ويتجهون إلى هذا النجم اعتقاد طريف

يعتقد الصابئة أن الروحاني الكبير (هيل زبوا) كان قد ولي الروحاني الكبير الآخر (فتاحيل) على (المطراثي) "فراى هذا المنولي أن أهل الارض قد كثروا كثرة تلفت النظر؛ فأنزل بهم الاوثة لينقص من عددهم فازداد عدد الوافدين إلى (الجحيم) بطبيعة الحال. وكان (هيل زبوا) قد سدد المنفذ الذي يفضي من هناك إلى عالم الانوار (آمي دنهورا) فتضايق (الجحيم) بالوافدين، وانطلق (فتاحيل) إلى (هيل زبوا) وسأله إطلاق الانفس التي استوفت عذابها، للترفيه عن الجحيم المزدهم؛ فأبى (هيل زبوا) وقال: ما كنت لأدخل دار النعيم نفسا قد نذست بالاثم

وكان سكان عالم الانوار يتوقعون أن تمتلئ دنياهم بالخلائق من الصالحين التائبين ولما علموا أن (هيل زبوا) يتشدد في تخليص المذنبين، انطلقوا إلى (ماري أدربوئا) وسألوه التسامح في أمر أولئك الوافدين على الجحيم، لأن التشدد سيحول دون خروج أحد منهم، فاستدعى (ماري أدربوئا) (هيل زبوا) وفأوضه في هذا الموضوع مليا، ولما رآه متشددا طلب اليه أن يعود إلى تدبير مملكته في عالم الانوار ونصب (أواثار) واليا على (المطراثي) فاستطاع (أواثار) في مدة وجيزة أن يفتح منفذا في المطراثي يسر خروج خلق كثير التحقوا بعالم الانوار.

(١) يعتقد الصابئة ان بين الجنة والنار شيئا ثالثا يسمونه «المطراثي»، أي المطهر وفي هذا المل تعذب الأرواح التي ارتكبت ذنوبا بسيطة، ويكون عذابها لأمد محدود، ثم تنتقل إلى مواضعها في عالم الانوار الذي يسمونه «آمي دنهورا»

نبي الصابئة

يحيى بن زكريا عليه السلام

يعتقد الصابئون «المنذائيون» أنهم «يتبعون تعاليم آدم» ولديهم كتاب الكترا - أي صحف آدم - غير أن تقادم العهد على الرسول الأول للدين، ونشوء بعض المذاهب الزائفة والأديان الوثنية، كل هذه أدخلت تعاليم غريبة في الدين، فجاء يحيى ليخلص الدين من هذه المذاهب الدخيلة، ولم يكن رسولا، بل نبيا خاصا بهم^(١) فمن هو يحيى يا ترى؟

كان حمل زوجة زكريا، ويقول أهل الكتاب أن اسمها (حنة) في الزمن الذي كانت مريم حاملا فيه بعيسى، وولد يحيى، وليس لدينا ولا لدى أهل الكتاب شأن عن طفولته غير أنهم يقولون أنه كان يأوى إلى البرية، ويأكل جرادا وعسلا برّيا. وكان يحيى بارعا في الشريعة الموسوية، ومرجعا مهما لكل من يستفتى في أحكامها، وكان أحد حكام فلسطين يقال له هيرودوس، وكانت له بنت أخ يقال لها هيروديا، بارعة الجمال، أرادها عمها فوافقته هي وأما، غير أن يحيى لم يرض عن هذا الزواج لأنه محرّم، وعرف عنه أنه معارض في ذلك، فانتهزت أم الفتاة إخراج فتاتها إلى عمها في زينتها، ورقصت أمامه فسر منها، وطلب إليها أن تطلب ما تتمناه ليعمله لها، فطلبت رأس يحيى، وكانت أمها لفتتها أن تقول كذلك، فقتل عمها الحاكم يحيى بن زكريا، فلما بلغ المسيح عيسى بن مريم أن يحيى قد قتل، جهر بدعواه، وقام في الناس

(١) الأستاذ عبد الجبار عبد الله «الصابئي» في هامش كتاب «العراق في القرن السابع

واعظا^(١)

«واليهود يختلفون في مسألة التزويج ببنت الأخ وبنت الأخت فيجيزها القراءون، ويمنعها الربانيون» وحجة الأولين أن بنت الأخت وبنت الأخ لم تذكر حرمتها في التوراة^(٢) ولهذا فإن الصابئة لا يزوجون من بنت الأخ ولا من بنت الأخت

يحيى في القرآن الكريم

أما ولادة يحيى فكانت مكرمة من مكارم الأنبياء، جاء في سورة مريم: (كهبص . ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا . إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا . قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ، وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا . وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا . يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا . بَارِزُكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا

(١) قال عماد الدين اسماعيل بن علي بن محمود المعروف بأبي الفداء المتوفى سنة ٧٣٢ ١٣٣١ م «أما يحيى ابنه فإنه نبي صغيراً، ودعا الناس إلى عبادة الله، ولبس يحيى الشعر واجتهد في العبادة حتى نخل جسمه، وكان عيسى بن مريم قد حرم نكاح بنت الأخ، وكان لهردوس، وهو الحاكم على بني اسرائيل، بنت أخ وأراد ان يتزوجها، حسبا هو جائز في دين اليهود، فنهاه يحيى عن ذلك، فطلبت ام البنت من هرودوس ان يقتل يحيى فلم يجبهما إلى ذلك، فعادته وسألته البنت أيضاً والحناعليه فأجابهما إلى ذلك، وأمر يحيى فذبح لديها وكان قتل يحيى قبل رفع المسيح بمدة يسيرة لأن عيسى عليه السلام إنما ابتداء بالدعوة لما صار له ثلاثون سنة، ولما امره الله ان يدعو الناس إلى دين النصارى غمسه يحيى في نهر الأردن، ولعيسى نحو ثلاثين سنة، وخرج من نهر الأردن، وابتداء بالدعوة وجميع ما لبث المسيح بعد ذلك ثلاث سنين فذبح يحيى كان بعد مضي ٣٠ سنة من عمر عيسى، وقبل رفعه، وكان رفع عيسى بعد نبوته بثلاث سنين، والنصارى تسمي يحيى المذكور يوحنا المعمدان لكونه عمد المسيح حسبما ذكر، إله

(المختصر في أخبار البشر) ١ م ص ٣٤

(٢) عبد الوهاب النجار في «قصص الأنبياء»، القاهرة ١٢٥٥ ص ٤٤٠

وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا . قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ
مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا . قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ
لَيَالٍ سَوِيًّا . فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا
يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا . وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ
تَقِيًّا . وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا . وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ
وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ^(١)

يحيى في التوراة وفي الانجيل

لم يرد ذكر مالمحيى بن زكريا في العهد القديم «التوراة» أما في العهد الجديد
«الانجيل» فقد جاء في الاصحاح الأول من «انجيل لوقا» ما نصه :

« كان في أيام هيرودس ، ملك اليهودية ، كاهن اسمه زكريا من فرقة ابيا ،
وامراته من بنات هارون ، واسمها البصابات ، وكانا كلاهما بارين أمام الله ، سالكين
في جميع وصايا الرب وأحكامه بلا لوم ، ولم يكن لهما ولد ، إذ كانت البصابات عاقراً ،
وكانا كلاهما متقدمين في أيامهما ، فبينما هو يكمُن في نوبة فرقة أمام الله ، حسب عادة
الكهنوت ، أصابته القرعة أن يدخل إلى هيكل الرب ، ويختر و كان كل جمهور الشعب
يصلون خارجاً وقت البخور ، فظهر له ملاك الرب ، واقفاً عن يمين مذبح البخور ،
فلما رآه زكريا اضطرب ، ووقع عليه خوف ، فقال له الملاك لا تخف يا زكريا ، لأن
طلبتك قد سمعت ، وامراتك البصابات ستلد لك ابناً وتسميه يوحنا ، ويكون لك
فرح وابتهاج ، وكثيرون سيفرحون بولادته ؛ لأنه يكون عظيماً أمام الرب ، وخرّاً
ومسكراً لا يشرب ، ومن بطن أمه يمتلئ من الروح القدس ؛ ويرد كثير من بني
إسرائيل إلى الرب ، إلههم ، ويتقدم أمامه بروح إيليا وقوته ، ليرد قلوب الآباء

إلى الأبناء ، والعصاة إلى فكر الأبرار لكي يهتدى للرب شعباً مستعداً . فقال زكريا
للملاك كيف أعلم هذا لأنني أنا شيخ ، وإمرأتي متقدمة في أيامها ، فأجاب الملاك وقال
له : أنا جبرائيل الواقف قدّام الله ، وأرسلت لأنك لم تكلم ، وأبشرك بهذا ، وها أنت تكون
صامتاً ولا تقدر أن تتكلم إلى اليوم الذي يكون فيه هذا لأنك لم تصدق كلامي
الذي سيتم في وقته . وكان الشعب منتظرين زكريا ، ومتعجبين من إبطائه في الهيكل ،
فلما خرج ؛ لم يستطع أن يكلمهم ، ففهموا أنه قد رأى رؤيا في الهيكل ، فكان يومئذ
إليهم وبقي صامتاً ، ولما مكثت أيام خدمته ، مضى إلى بيته ، وبعد تلك الأيام ، حبلت
اليصابات امرأته ، وأخفت نفسها خمسة أشهر قائلة : هكذا قد فعل بي الرب في الأيام
التي فيها نظر إلي لينزع عاري بين الناس ، وفي الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك
من الله إلى مدينة من الجليل اسمها ناصرة إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه
يوسف ، واسم العذراء مريم ، فدخل إليها الملاك وقال : سلام لك أيها المنعم عليها .
الرب معك . مباركة أنت في النساء ، فلما رآته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى
أن تكون هذه التحية ، فقال لها الملاك لا تخافي يا مريم ، لأنك قد وجدت نعمة عند
الله ، وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً ، وتسمينه يسوع ، هذا يكون عظيماً وابن العلي ،
يدعى ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه ، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ، ولا
يكون لملكه نهاية . فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً ،
فأجاب الملاك وقال لها : الروح القدس يحلّ عليك ، وقوة العلي تظلمك ، فلذلك
أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله ، وهوذا اليصابات نسيبتك هي أيضاً حبلت
بأبن في شيخوختها ، وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقراً ، لأنه ليس شيء غير
ممكّن لدى الله ، فقالت مريم هو ذا أنا أمة الرب ليكن لي كقولك ، فضى من عندها
الملاك ، فقامت مريم في تلك الأيام ، وذهبت بسرعة إلى الجبال ، إلى مدينة يهوذا ،

ودخلت بيت زكريا، وسلمت على الیصابات، فلما سمعت الیصابات سلام مريم، ارتكض الجنين في بطنها، وامتلات الیصابات من الروح القدس، وصرخت بصوت عظيم، وقالت مبارك كنه أنت في النساء، ومباركة هي ثمرة بطنك فمن أين لي هذا أن تأتي أم ربي إلي فهوذا حين صار صوت سلامك في أذني ارتكض الجنين بابتهاج في بطني فطوبى لتي آمنت أن يتم ما قيل لها من قبل الرب... وأما الیصابات فتمّ زمانها لتلد، فولدت ابناً، وسمع جيرانها، وأقرباؤها، ان الرب عظم رحمته لها، وفرحوا معها وفي اليوم الثامن جاءوا ليختنوا الصبي، وسموه باسم أبيه زكريا، فأجابت أمه وقالت لابل يسمي يوحنا، فقالوا لها ليس أحد في عشيرتك تسمى بهذا الاسم، ثم أومأوا إلى أبيه ماذا يريد أن يسمي، فطلب لوحاً، وكتب قائلاً اسمه يوحنا، فتعجب الجميع، وفي الحال انفتح فمه ولسانه، ونكلم، وبارك الله فوقه خوف على كل جيرانهم، وتحدث بهذه الأمور جميعها في كل جبال اليهودية، فأودعها جميع السامعين في قلوبهم، قائلين أترى ماذا يكون هذا الصبي وكانت يد الرب معه... أما الصبي فكان ينمو ويتقوى بالروح، وكان في البراري إلى يوم ظهوره لاسرائيل « إ هـ

يحيى في كتب الصابئة

قال (هيل زيو) الروحاني الذي نزل إلى العالم، وأوحى كتاب (الكثزا) إلى ايدنا آدم على ما يعتقد الصابئة :

(فأعيد عليكم الكلام يا تلاميذي: إن مشيها - المسيح - ويقال له عطارد، سوف يختفي عدة أشهر في أحشاء امرأة بتول ثم يبرز منها بجسده، فيربو في حجر والدته، ويوضع من لبنها، وينشأ بين ظهري اليهود، ويعرض مذهبه كله منذ أول نشأته، ثم بعدئذ نفسه عبدة له؛ ويكره أصحابه على استئثار المرعزاء، وجز شعور الرؤوس فيربو الهوى على قلوبهم من حيث لا يدور. ثم إن أصحابه يقومون بعيدة يوم الشمس

وسوف يقول لهم «اني إله حق ، وقد أرسلني أبي إلى هنا ، اني أنا أول الرسل وخاتمهم .
اني الأب ، واني الروح القدس ، وقد نبغت في الناصرة » وله عرش وسوف يرفع
الناسوت بالناسوت ؛ وسوف ينتقل إلى اورشليم . هذا وان اليهود سوف يتألبون اليه
بما يرون منه ، وسوف يريهم معجزات وآيات غريبة حتى أنه ينشر الموتى من القبور ،
وبعيد الكلام اليهم ، وسوف يدعو اليهود ويقول لهم : تعالوا وعابنوا فاني أحيي الموتى
وأنشرهم وأدفع الغدية واني أنا آتوس الناصري . هذا وان الروح نفسه سوف يسمع
صوته في اورشليم ليشهد له . أما مشيها فإنه يفتن أبناء الناس ، يعمدهم بماء قابل النشف
ويغير عماد الحياة إذ يعمد المتشبعين له باسم الاب ، والابن ، والروح القدس ، ويحزج
الناس عن عماد الحياة الذي نعمد به آدم في مياه الاردن الحية

«وفي ذلك العهد بولد ابن اسمه يهيسى بن أبو صادا - زكريا - وبأنبه في شيخوخته
ويكون عمر امه أنشوي مائة سنة حينما تجبل به ، وتلدّه ، في هرمها . وأما يهيسى فسوف
ينشأ في اورشليم لأن الايمان . يكون في صدره ، وسوف يطوف الاردن ، ويعمد
الناس مدة ٤٢ سنة قبل أن يأتي العالم عطارد المتجسد (المسيح) وبعد ولادة يهيسى في
اورشليم ، بينما يطوف صقع الاردن ويعمد ، سوف يأتي مشيها - المسيح - ويتقدم
بتواضع ليصطبغ بعاد يهيسى ، وينتفع بحكمته . لكن مشيها سوف يعيث بمذهب يهيسى
ويغير عماد الأردن ، غير أنه في اليوم الذي يتم يهيسى مهمته ، آتي اليه وأظهر له حينما يكون
ابن ٣ سنين ويوم واحد لا تكلمه عن العماذ ، وأشرح له النعمة الإلهية . وفي آخر الامر
أستل روحه من جسده ، وأرفعه بالطهارة والنقاء إلى آلي دهورا ، وأعمده في المساء
الحلي المنعش ، ماء الاردن الزلال ، وألبسه لباس المجد ، وأضع على مفرقه التاج النير ،
واسمعه انشودة القلب الطاهر ؛ تلك الانشودة التي تشبه الاغنية التي يغنيها ملوك النور
ويسبحون بهاملكا دهورا إلى دهر الداهرين . إلا أن العالم ينحاز إلى الكذب بعد يهيسى

ويدفع المسيح جميع الشعوب إلى اتباع تعاليمه . ومثله يفعل اثنا عشر من الرجال الذين سوف يطوفون العالم مدة ٣٠ سنة وفي تلك الحقبة يظهر الدجال في الدنيا ، ويقوم الدعوى عليه ، ويسلمه إلى أيدي اليهود ؛ ويتركه أصحابه يموت مسرّاً على صليب فحينئذ ينتشر أصحاب المسيح على وجه البسيطة وأما هو - أي المسيح - فيخفي على جبل موريا ، وكما أن الشمس نبتى بخاراً بعد وهجها ، فإن هذا المسيح يثير أيضاً في الأرض تعاليمه . أما أبناء الناس الذين دانوا بدين الكذبة السبعة ، المعروفين باسم مدبري الكواكب السبعة فإنهم يصيرون إلى النار ^(١)

يحيى في روايات أخرى

« قالوا وكانت الصابئة عند مولده - مولد يحيى - قد انقرضت من العالم بته ، لأن أساقفتهم وكهنتهم كانوا قدمائوا كلهم فبقوا من غير هاد ، ثم اختلطوا ببعض طوائف اليهود من غير أهل الختان ، فأشربوا عقائدهم ، ومذ ذاك انقطع الوفد عن عالم الانوار ، وهو دار النعيم ، فاستوحش أهله ، ورفعوا أمرهم بالتشكي إلى - ماري أردبوثا - فاستحضر لوقته - مندادي - أحد الثلاث مئة والستين شخصاً السماويين ، وأمره بتدارك هذه الثلثة ، فجاء بإناء فيه ماء ، وتلا عليه كلمات سرية ، ودفعه إلى واحد من الملائكة ، وأمره أن ينطلق إلى - أي نشفي - وهي أم يحيى ، ويتلطّف في الاحتيال ، بحيث تشرب منه ، دون أن تعلم ما فيه ، فارتسم الملك أمره ، وهبط إلى أي نشفي ، وجعل الأناء بين يديها ، وأدر كبتها عطشة فاغترفت من ذلك الماء في حفتها وشربت منه ، فحملت لوقتها ، ولما كانت الليلة التالية ، رأى أحد اليهود في حلمه أن - أي نشفي - قد حملت ، وأن الولد الذي ستضعه سيكون زعيماً على الأمة ، ويدين اليهود لأمره ، وأنه سيعمدهم ، ويسقيهم ماء المبول ، وهو الماء الذي يسقيه كاهن الصابئة لكل معتمد

(١) هذا تعريب ما في كتاب الصابئة الكبير « كثر دبا » على ما جاء في المشرق البيروية ١٩٠١م (٤-٩٢٥)

فلما أصبح اليهودي ، صار إلى العازار ، رئيس ملته ، وقص عليه حلمه ، فانطلق العازار حتى لقي أبو صادا ، وهو زوج أي نشفي ، وأعلمه أن زوجه حامل ، فأنكر أبو صادا ذلك ، وقال كيف يكون هذا وزوجي عجوز كبيرة ، ولم تحمل قط مذ كنا معاً ، فحشد العازار أعيان اليهود ، وقص عليهم الأمر ، فأخذوا قصص الحلم ، وأنفذوا به إلى معبرٍ للأحلام مشهور بالحذق والاصابة ، فكان تعبيره مطابقاً لتعبيرهم ؛ فعزموا على أن يتربصوا به - أي نشفي - أن تضع جنينها فيقتلوه عند ولادته ، ولما جن الظلام قدم أبو صادا على العازار ليفاوضه في الأمر ، فرأى العازار أبو صادا داخلاً ، وبين يديه قيسان من نورٍ ساطع ، ووراءه مثلها ، فقال العازار ما هذه المصاييح الأربعة التي حولك ، فقال لا أدري ؛ إنما هي المرة الأولى التي أرى فيها ذلك ، وأجهل من أين جاءتني هذه الأنوار ، وكانت مصاحبة له طول التسعة الأشهر التي كانت إمرأته فيها حبل ، وبعد أن أتى على - أي نشفي - تسعة أشهر ؛ وتسعة أيام ، وتسع ساعات ، وتسع دقائق^(١) من حين الحبل أخذتها أوجاع الطلق ؛ فاجتمعت حولها نساء اليهود بالامر السري الذي تلقينه من قبل الرؤساء ليقتلن الطفل عند مولده ، إلا أنه لم يتم لمن ذلك لأن زهرئيل لالانو ، وهوروح^٢ موكل بالمواليد ، وهو الذي يدير رأس الجنين من فوق إلى أسفل ، قبل الولادة ، أخذ الولد بعد خروجه من أمه^(٣) ؛ وجعله بين أيدي الملائكة ، فأخذوه إلى عالم النور ، الذي هو الفردوس ، وهناك شجرة تسمى - فهزيون ملالا - على أغصانها ثدي كثيرة حافلة باللبن إذا مات أحد الصابئة طفلاً بعد المعمودية وقبل أن يستوفي رضاعه ، جعل عليها ، فوضع من تلك الثدي . فنشأ هذا الغلام الذي هو

(١) يقول الصابئة المندائيون إن الله تبارك اسمه أراد أن يميّز يحيى بن زكريا ، وعيسى بن مريم عليهما السلام فجعل مدة كل منهما في البطن زيادة على تسعة الأشهر المقررة للنساء بتسعة أيام وتسع ساعات (٢) هذه هي رواية الصابئة . أما ما جاء في الأصل المنقول عنه فهو « أخذ الولد بأن أخرجه من

ثم أمه » والفرق بين الروایتين واضح

(٣) ٧٢٨١ ١٣٥٢ (٢٠١-٢٠٢) : ٢١٤

يحيى في الفردوس، واعتمد هناك باسم الآله وباسم ماري أدربوئا ومتدادهي . وهذا الأخير هو أبوه الذي تلا الكلمات السرية على الماء الذي سقيته أمه على ما تقدم حديث ذلك ولذا كان يحيى في زعمهم يعمد باسم هؤلاء الثلاثة ^(١)»

ولما أراد يحيى إظهار نبوته في العالم السفلي، وسن شريعته، قرأ عليه أهل عالم الأنوار كلمات باللغة المندائية تقيه أذى النار والماء والسلاح وسائر الآفات، وعلموه كلمات أخرى إذا نطق بها أدرك ما شاء، وفعل كل ما أراد، ثم سلموه بيد - أنش اثرا - أحد الثلاث مئة والستين شخصاً السماويين، ليصحبه إلى العالم السفلي، فركبا زورقاً في الأردن، واتجها نحو أورشليم، حيث كانت قبيلة يحيى، فعرفته خادمة بيت أبيه، وأخبرت أمه «أي نشي» بذلك فهتت هذه بالذهاب إليه، فمنعها زوجها أبو صادا من ذلك وهددها بالطلاق إن هي سارت إلى حيث تريد، فسقطت صحيفة من السماء بين يديه فتناولها فإذا بها هذه الكلمات «إياك وإن تسوء، إمرأتك بأمر ولكن هلم في أثرها فإنها ذاهبة للقاء يحيى» فنهض أبو صادا وتبع زوجته واحتفلا بالقدام كما احتفل هو بهما . وكانت الشمس والقمر تحفظان يحيى، فلما وصل وأنش اثرا أورشليم أظهر معجزاته وهي شفاء المرضى، والعميان، فلم يؤمن به اليهود وأحرقوا عليه منزله إلا أن النار كانت برداً وسلاماً عليه، فضر به بأسلحتهم فلم تعمل فيه عملها المأمول، فلما رأوا ذلك آمنوا برسائته، ما عدا العازار واتباعه؛ واعترفوا به زعيماً عليهم، وهم لا يبرحون في طاعة خلفائه إلى يومنا هذا .

وفي كتاب الصابئة الكبير «الكنز أربا» انه كان قبل ظهور يحيى ملك يسمى «داراملكه» ولما مات تشنت الصابئة، وتبعثرت كتبهم، بفعل الحروب التي دارت بينهم وبين الاسرائيليين، فلما ظهر يحيى جمع ما تبقى من هذه الكتب، وصنف كتباً أخرى

وزعمها على أتباعه؛ كما استعاد الصابئين الفارين من ظلم بني إسرائيل، وأمرهم بالرجوع إلى كتبهم القديمة . فمنهم من لبى الطلب، ومنهم من رفضه .

وفاة يحيى عليه السلام

ولما أقر يحيى شريعته بين أتباعه، خرج إلى عدوة الأردن، حيث عمده السيد المسيح « ويسمونه مشيها » باسم الآله واسم ماري أدربوثا ومندادهي ، الاسماء التي هو عمدها، وبما أن يحيى كان بارعاً في الجمال، فقد دعا الله أن يصونه من حبائل النساء، وبقي زمناً طويلاً أعزباً حصوراً، فخرضته الصابئة على الزواج، خشية إضمحلال ملتهم، فنزل عند رأيها، وعادت الصابئة إلى الزواج، وأخذ مؤمنوهم أيضاً يتزوجون .

ولما أحس يحيى بدنو أجله قال لزوجته : ماذا أنت صانعة من بعدي ؟

قالت : أنقطع عن الطعام والشراب تعجيلاً لأجلي حتى أذهب وأنضم إليك .

فقال يحيى : بل ستأكلين وتشربين ثم لا تخطريني ببالك .

قالت : سأعزل العسل ولا أضفر شعري ما بقيت حتى أذهب وأنضم إليك .

فقال يحيى : إنك لم تمضي ماتقولين بل ستغتسلين، وتضفرن شعرك، وأصير عندك

نسباً منسياً .

قالت : سأنقطع في خباتي لا أرى إنسياً حتى أموت وأنضم إليك .

فقال يحيى : بل ستقادين لالحاح ذوي القرابة والأصدقاء فيخرجونك من

خباتك وتسلميني .

فقالت : وما عسى أن أزيد على ذلك ؟

قال : كل ما تكلمت به إنما هو خفة ورعونة . إن خير ما تعملينه من بعدي :

الابتهاال إلى الله ، ودعوة الاساقفة ، والقسيسين ، ليأكلوا مما تذبحينه لأجلي فيصلوا

علي ، وتبين أنت علي بشاشتك^(١)

وما ان أتم يحيى حديثه مع زوجته ، حتى وافاه مندادي «أبوه» متمثلاً بصورة فتي وطلب اليه ان يعمله ؛ فوعده يحيى أن يعمل ما يريد في الغد ، فلما كان اليوم التالي وافاه مندادي ، وهو يصلي ، فظن أنه جاء ليتعلم الصلاة ، ولكنه أخذ قبساً ورمى به يحيى فنام ، ودعا (مندادي) الله جل جلاله أن يجعل النهار أربع ساعات ، فأجابه الباري إلى دعائه ، فلما استيقظ يحيى من سباته ، بعد مضي أربع ساعات ؛ ذهب إلى الماء الجاري ، فاغتسل وصلى ، وعندها طلب اليه الفتي «مندادي» أن يعمله ، فنزل يحيى في النهر وأمر الفتي ان يتبعه ، فأخذ ماء النهر يرتفع بالتدريج ؛ حتى غمر ثياب يحيى ، فأمرع يحيى إلى اليابسة ، فنزل الماء ، ولما عاد يحيى إليه ، عاد الماء إلى الارتفاع ، وتكررت الحالة ثلاث دفعات ، فلما كانت المرة الرابعة ، أمر مندادي إلى الماء ان لا يرتفع ، فظهرت الطيور والأسماك ترفل بحال بيض ، وأحاطت يحيى ومندادي ، فأدرك يحيى السر وصاح «تبارك اسمك يا مندادي» وقبله في جبينه ، فظهر مندادي بظهوره السماوي ، فأراد يحيى أن يلمس يده ، فرد عليه الملاك «إن تمسها تموت» فرد يحيى انه يتمنى ذلك الموت ، ليذهب إلى عالم الأنوار (آلي دنهورا) فأعطاه مندادي يده ، فلمسها يحيى ، فسقط جسده للحال ميتاً ، وجلاه في الماء ، وسائر جسده خارجه ولحقت نفسه بنفس مندادي .

وبينا الروحان تسبحان في الفضاء ، رأيت روح يحيى جسده مطروحاً على الأرض ؛ تنهش فيه الطيور من جانب ، وتأكل فيه الأسماك من جانب آخر ، فتأوهت ، فسألها مندادي السبب ؟ فأجابت انها خلفت وراءها اطفالاً كانت تود أن تقوم بأودهم ، فرد الملاك عليها (ما لهذا تأوهت ، ولكنك نظرت إلى جثتك تنهشها الطيور والأسماك

فجزعت ؛ ولكني سأجعلها في حرزٍ حرز)

وعندها أخذ مندادي حفتين من التراب ، وألقاهما على جثة يحيى ، فكانتا قبراً له ، واستمرت الروحان في السير سوية حتى بلغتا نهر (دخشاشة) وهو النهر الذي يفصل بين المطراثي والفردوس ، فركبنا زورقا انتهى بهما إلى عالم الأنوار ، فأقام يحيى في قصر مندادي .

هذه هي قصة ميلاد يحيى بن زكريا ، وقصة قبض روحه ، على ما جاءت في الاسفار الدينية المنوعة ، وفي المصادر المختلفة ، نسردها من دون تعليل ولا تعليق

مدفن يحيى (ع)

ذكرنا على ص ٥٢ من هذا الكتاب أن هردوس ، الحاكم على بني اسرائيل ، أمر بذبح يحيى بن زكريا عليه السلام لمعارضته إياه على الزواج من « هيروديا » ابنة أخيه فأين دفن الذبيح ؟

في داخل المسجد الأموي في الشام قبر يعلوه مشبك فخم يرى المسلمون أنه قبر يحيى (ع) ، أما المسيحيون فإنهم يقولون إن رأس النبي القتل دفن إما في « كنيسة المسقوف » على رأس قمة جبل الزيتون في القدس ، وإما في جوار (نابلس) بفلسطين أما الجسد فإنهم لا يعرفون عن موضع دفنه شيئاً . على حين إن الصابئين (المندائيين) يعتقدون أن الجسد والرأس دفنا في ششترا بإيران .

كتب الصابئة المقدسة

الكتب المقدسة هي المصادر الوحيدة لآديان العالم، وليس من أمة على وجه البسيطة لا تستمد ديانتها من كتب، نعتقد بصدورها من مصدر سماوي، وحتى الأمم المتوحشة تسند أساطيرها وطقوسها إلى مصدر روحي وراء هذا العالم المنظور.

وتجتهد هذه الأمم في أن كتبها صادرة من واسطة التبليغ مباشرة، بل قد يترقى البعض منها فيجعل هذه الكتب منزلة بمجموعها من السماء، كما تدعيه الصابئة في «صحف آدم» المفقودة، أو كما يدعيه اليهود في «توراتهم» قبل السبي، وقد يكون هذا الدافع طبيعياً لتقوية الاعتقاد، وبناء الإيمان على أساس متين.

وقد سعت المجامع التي عقدتها الأمة النصرانية في القرون الوسطى إلى تصحيح الأنجيل، وإلى محو المشبه فيه، كما حصل هذا التصحيح للقرآن في صدر الإسلام، حينما أمر الخليفة الثالث: عثمان بن عفان (رض) بمحو كل ما كتب بغير لغة قريش. وهكذا نجد الأمم على اختلافها نعتقد بأن كتبها هي المصدر المفيد لليقين بتكاليدها، والواسطة التي تدين بها لعبودها.

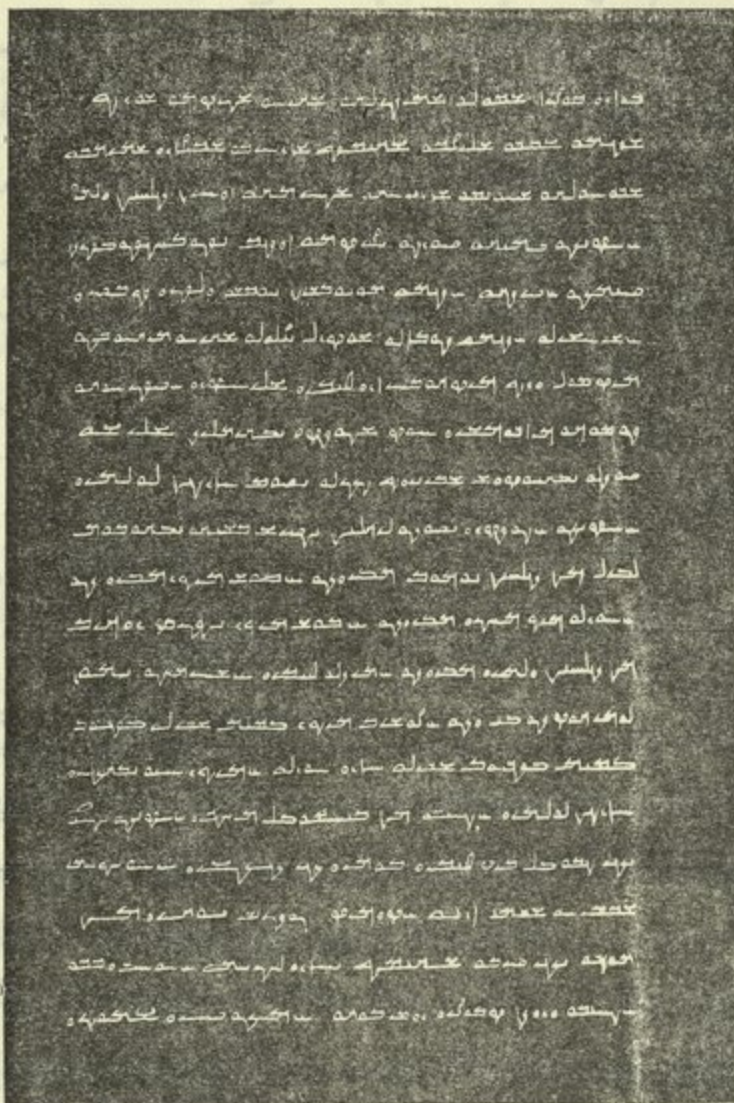
ويرى الصابئة - زيادة على ما تقدم؛ وعلى ما تراه الأمم الأخرى - أن كتبهم المقدسة قد توارثوها بصورها الموجودة لديهم عن آدم أبي البشر، ومنه انحدرت إلى نوح عليه السلام، وبعد الطوفان إلى سام، ثم إلى ولده رام، ومنه إلى إبراهيم الخليل، فإسماعيل، فيجي بن زكريا، الذي يسمونه يوحنا المعمدان. وهم يعترفون بأن معظم هذه الكتب قد تلف، بالرغم من حرصهم الشديد على الاحتفاظ بها، إلا أنهم لا يشكون - في الوقت نفسه - في أن صورة الموجود منها طبق الصورة الأصلية المنزلة، وأن التطورات التاريخية لم تؤثر عليها، لا من حيث اللغة، ولا من حيث الترتيب، وقد

يكون هذا الشيء مستبعداً في نظر العلماء ؛ وفي نظر المدققين
والذي يلفت الأنظار بنوع خاص أن الصابئة يحرصون على منع الغير من الاطلاع
على كتبهم المقدسة منعاً شديداً ، لأنهم يرون في هذا الاطلاع أمراً محرماً يؤثم الفاعل
عليه ، ولهذا لا يكاد الانسان يستطيع الوقوف على أحدها إلا بشق النفس ، وقد حاول
فريق من المستشرقين : فيهم الألماني ، والفرنسي ، والايطالي ، والانكليزي ؛ أن يحصل
على بعض هذه الكتب ، وبذل في سبيل ذلك مبالغ طائلة فأخفق ، ولذا ندر وجود أمثال
هذه الأسفار الدينية في خزائن الكتب المشهورة ، وبالرغم من كل ذلك ، تسربت جملة
من هذه المصادر إلى بعض هذه الخزائن ، نتيجة لما بذله هذا البعض من الخزائن من
أموال وفيرة ، ووسائل مغرية للظفر بهذه المصادر . أما لغة هذه الكتب فهي «المنداينية»
وهي لغة سامية قريبة من «السريانية» وكانت مشهورة في قديم الزمان غير أن «المندايين»
يعتقدون بانها اللغة التي كان يتكلم بها آدم عليه السلام
وأهم الكتب التي بقيت اليوم في أيدي الصابئين «المندايين» هي :

١ - كتاب الكنز اربا - Qinza Rabba

أي الكتاب العظيم ، ويقال له «سدرآدم» أو «صحف آدم» وقد يكتبون بقولهم
«السدره» بوجه الاطلاق . ونحصر مباحثه في ذكر بدء الخليقة ، والتطورات التي
حدثت للبشر ، وفي صفات الخالق ، وفي الوعظ والارشاد .
وتختلف الصابئة في عهد كتابته . فمنهم من يقول أن تاريخه يرتقي إلى ما قبل
النصرانية ، ومنهم من ذهب إلى أنه من عهد يوحنا المعمدان ، ومنهم من قال غير ذلك ،
وذهب الأب أنستاس ماربي الكرمللي في مجلة المشرق البيروتية « ٥ (١٩٠٢)
ص ٣٠٨ » إلى أنه لم يكتب قبل سنة ٧٠٨ للميلاد لوجود نصوص فيه تؤيد ذلك ،
وعلى كل لا يكاد تاريخه يعرف بالضبط

ولهذا الكتاب طبعتان : الاولى نشرها المستشرق السويدي M. Norberg بحروف
مريانية مع ترجمة لانيانية في أربعة مجلدات في «كوبنهاغن» سنة ١٨١٥م والثانية نشرها



صفحة من كتاب «الكنز الربا»

المستشرق الألماني J.H. Petermann على حجر بالنص المندائي في (لايبسك) سنة ١٨٦٧م

وفي «خزانة المتحف العراقي» نسخة كاملة من الطبعة الاولى برقم (مطبوعات ٤٧٦٢ / ٤٧٦٦ وهي نادرة جداً ، كما ان في هذه الخزانة نسختين مخطوطتين من هذا الأثر الكبير . رقم الاولى (مخطوطات ٢٥٣) وهي في ١٦٨ + ٤٤٢ صفحة بقطع ٣١ × ٢١ سم ورقم الثانية (مخطوطات ١٤٤٠) وهي في ١٨٢ + ٤٩١ صفحة بقطع ٣١ × ٢١ سم . مع ٢٠ سطراً في كل صفحة ، وكلتا النسختين على ورق معشر^(١) ان من مميزات هذا الكتاب المقدس أنه يتقوم من قسمين : يميني وشالي ، فإذا مسكه أحدهم من القسم اليميني كان قسمه الشالي مقلوباً ، أي يكون أعلاه أسفله ، وإذا مسكه من القسم الشالي ، كان قسمه اليميني مقلوباً فيستطبع مؤمنان قاعدان على حافتي الساقية الواحدة أن يقرأ فيه في آن واحد

٢ - كتاب أدرا فشا ديهي

ويقل له (سدراديهي) أي تعاليم يحيى ، أو كتاب يحيى ، وهو أحدث تاريخاً من الكتاب الأول على كل حال ، ويتضمن حياة نبي الله يحيى ، وإرشاداته ، وتعاليمه الدينية . ويقولون ان الملاك جبرائيل كان قد أوحى إلى يحيى بن زكريا أن يضع هذا الكتاب ويسميه بهذا الاسم وقد نقله إلى الألمانية المستشرق الألماني M. Lidzbarski في سنة ١٩١٥م بكل دقة وعناية

٣ - كتاب القلستا

أي كتاب الفرح ، أو الطرب ، وهو كتاب خاص للبحث عن رسوم الزواج ، وسننه ، والاحتفالات التي تقام أثناء عقده ، وعن كيفية تحليل النكاح الشرعي ، وإجراء الخطبة ، وما إلى ذلك

(١) «هناك ترجمات وشروح ظهرت في فترات مختلفة منذ ذلك التاريخ كانت خاتمة ما ظهر منها طبعة البروفسور Mark Lidzbarski في سنة ١٩٢٥ وهي طبعة جليظة مع ترجمة إلى اللغة الألمانية»
E. S. Drower, the Mandaean of Iraq and Iran p. 24. London 1937

٤ - كتاب سدرا دنشانا

أي (كتاب النفوس) ويعتقدون انه أنزل على آدم أبي البشر ، وموضوعه البحث في السنن التي ينبغي إتباعها في الجناز ، وتلقين الأموات ، وكيفية دفنهم ، وأسباب تحريم البكاء أو إعلان الحداد عليهم ، وكيفية انتقال الروح من الجسد ، فالارض ، فعالم الأنوار ، (آلي دنهورا) وما إلى غير ذلك مما يتعلق بالموت ، والمعاد . كما ان فيه نصوص الصلاة التي يقرأها الروحاني في حفلات الاعتماد . وقد نقل القسم المختص منه (بطقوس التعميد) إلى الألمانية المستشرق M. Lidzbarski سنة ١٩٣٠ م

وفي خزانة المتحف العراقي نسخة حديثة منه ، باللغة المندائية ، نسخت للآب أنستاس ماري الكرمل على ورق معشر سنة ١٨٩٤ م فجاءت في ٢٨٤ صفحة بقطع ٣١ × ٢١ وفي كل صفحة ٢٠ سطراً ورقها «مخطوطات ١٨٩٦»

٥ - كتاب الديوان

وقد يسمى «الديوان» أحياناً للتخفيف ، وهو سفر ضخمة يعد من أنفس كتب الصابئة ، التي تعين المتبع لديانتهم على الوقوف على أهم ما يتطلبه الباحث ، إذ فيه قصص بعض الروحانيين ، وسيرهم ، مع صورهم ، ونسخه أندر من الكبريت الأحمر .

٦ - كتاب أسفر ملواشي

أي «سفر البروج» والعامة تسميه «أصفر ملواشا» وهو كتاب يستعين شيوخ الصابئة به على معرفة حوادث السنة المقبلة كبيرها وصغيرها كما يستعينون بواسطته من معرفة البرج الذي ولد الشخص فيه ، فيستنبطون منه اسمه المقدس ، الذي يبقى محفوظاً لديهم ، ويعينون به طالع المولود . كما أن في الكتاب أذكاراً وأوراداً متنوعة يستعينون بواسطتها على طرد النوائب ، وإبعاد الأمراض .

وقد نشرت الليدي دراو E. S. Drower هذا الكتاب بنصه المندائي سنة ١٩٤٩

فجاء في ٢٨٩ صفحة كما نشرت ترجمة له بالانكليزية فجاءت في ٢١٨ صفحة

٧ - كتاب الانبائي

أي « كتاب الأنبياء » أو (الأذكار الدينية) التي تتلى في الصلاة اليومية . وقد أطلعني الشيخ دجيل الصابئي على نسخة قديمة منه ، كتبت على رق غزال ، وذكر أن فيها بعض السنن التي تنبع في دفن الموتى من الصابئة ، إلى الأذكار التي يتلوها في صلواتهم اليومية ، كما شهدت نسخة ثانية منه في خزانة المتحف العراقي برقم (مخطوطات ٢٠٨٧) نسخت للأب أنستاس الكرملي على ورق معشر عام ١٨٩٥ م فجاءت في ٢٠٨ صفحات من حجم ١٦ × ٢١ ١/٢ وفي الصفحة ١٣ سطرًا .

٨ - كتاب قهاها دهيقل زيوا

(أي عوذة هيقل زيوا ، وهو عبارة عن درج كبير فيه أكثر من ألف ومئتي سطر ، وهي عبارة عن تعزيمات شتى يحملها متديتوا الصابئة ، ويزعمون أن من يلبس هذا الحجاب لا يوتر فيه سلاح نار أو سلاح بتر ، وهذا الدرج لا يكتب لأحد مالم يكن المندائي المستكتب قد أظهر علامات الصلاح والتقوى بما لا مزيد عليه ، وفي آخر الدرج الأصلي الذي ينسخ عليه ، والمحفوظ عند أسقفهم ، قرأت هذه العبارة - إزدهر - إزدهر ، إزدهر لكل أنش لا تكدف - ومعناها تحفظ ، ثم تحفظ ، ثم أقول لك تحفظ من أن تكتب القهاها لكل من كان أو لكل أحد . وهم يحرصون عليها كل الحرص حتى أنه لا يجوز لهم أن يدعوا من لم يكن من دينهم أن يمس هذا الدرج خوفاً من أن يتنجس أو يفقد مفاعيله وإذا فقد منهم فكل ما يبذلونه من البيضاء والصفراء في جانب استحصاله لا يعد شيئاً مذكوراً)^(١)

٩ - تفسير يفره

يبحث هذا الكتاب في علم تشريح جسم الانسان وتركيبه ، وفي المعنى المستتر
للاطعمة التقليدية التي يتناولها أبناء الطائفة . كالبهشة والمبول ونحوهما

١٠ - كتب أخرى

والصابئة - عدا ما تقدم - عدة كتب تتعلق بطقوسهم ، وآدابهم ، ومعابدهم ،
وسائر سننهم الاجتماعية مثل كتاب « الشروح » لمسائل دينية مختلفة ، وكتاب ال (ترمز
ألقي شيلا) أي كتاب الاثني عشر الف سؤال ، وكتاب (كداوا كدفياتا) أي
كتاب العوذ ٠٠٠ الخ



علماء الصابئة

✽ نوطنة ✽

لكل أمة من الأمم طبقة خاصة من رجالها تمتاز بكونها ذات منزلة مقدسة ؛ وبكونها تشرف على أمور الامة الدينية . وتتبع هذه الطبقة - في كثير من نصرفاتها وأوضاعها - قوانين الدين ورسومه الخاصة ، وقد تسمح لها السلطات المدنية في كثير من الأمم بالاستقلال ببعض أمورها ، وباتباع أنظمتها الخاصة ، وبنسبة رقي الأمم وانحطاطها تكون الحاجة شديدة وخفيفة إلى هذه الطبقة .

ففي الأمم المتمدنة تقتصر وظائف هذه الطبقة على إقامة الطقوس الدينية ضمن المعابد والمباني كل ، وتنحصر واجبات الجمهور نحوهم بالتقديس والاحترام . أما في الأمم المنحطة فتكاد تكون كل حركة من حركات الناس متوقفة على الاذن والرخصة من قبل رجال الدين ؛ ويكاد سلطان الدين فيها يكون سلطاناً مطلقاً لا يزاخمه أي سلطان آخر .

والصابئة من الأمم التي تحكمتم السلطات الدينية فيها ، وجعلت كاهنتها هي النافذة في أمور الطائفة كافة . فالولادة ، والتسمية ، والتعميد ، والزواج ، والصلاة ، والذبح ، والجنائز ، كل ذلك لا يتم إلا على أيدي رجال الدين .

وقد حتمت الشريعة الصابئية على من أراد الانخراط في سلك رجال الدين أن يكون سليم الجسم من العيوب الخلقية كافة ، صحيح الحواس الخمس ، غير مصاب بالبرش أو الجدري أو نحوهما ، وأن يكون سليم عايلة قد تمتعت بهذه النعم الخلقية منذ سبعة أظهر ، وأن لا تكون أمه ثيباً حينما تزوجها أبوه إلى سبعة أظهر أيضاً ، وأن لا يتزوج هو من ثيب بصورة مطلقة . كما أباحت هذه الشريعة للصابئية أن تدخل في هذا السلك إذا استوفت الشروط التي يجب أن يستوفيها رجل الدين ، ولكنها

لا تمارس أعماله الدينية ولا تقوم بواجب ديني نحو الطائفة^(١).

وينقسم هؤلاء الرجال الدينيون - بحسب رتبهم - إلى خمسة أقسام ، يستطيع المنتسب إليها أن يتدرج فيها حسب الأصول والشروط بعد أن يدرس دراسة خاصة ويقوم برياضة روحية خاصة ، يعقبها امتحان خاص ، وهذه الأقسام هي :

١ - الحلالي

ويسميه العامة (الشماس) وهو الذي اقتصرت دراسته على بعض كتب الدين الأولية ، وتعتمد التعميد الخاص بهذه الطبقة ، ونذر نفسه للسير في الجنازة ، وفي إقامة سنن الذباجة للعامة .

أما كيفية سيره في الجنازة فسيأتي البحث عنه في موضع آخر ، وأما كيفية إقامته هذه السنن فهي أن يلبس (الرسته) و (السفيفة)^(٢) وأن يحضر مقداراً من القصب أو البردي أو الحلفاء ، وينظفه في الماء الجاري ، ثم يطهر الذبيحة في الماء الجاري أيضاً بأن يغمسها فيه ثلاث مرات ، ثم يطرحها على القصب ، ويقرأ عليها أذكاراً دينية خاصة^(٣)

١ - « اماسيرة المتدينين من الصابئة فانهم أهل صلاح وزهد وحسن سمع ، قريون من الخير ، بعيدون عن الشر ، أهل تقف وامساك ، متواضعون شديدو الاحتشام حتى لا يرفع أحدهم صوته في التكلم ، ولا يشير بيده ولا يتحرك وهو يتكلم ، ولا ينضب ولا يقابل شتيمة بثلمها ، ولا اطمة بثلمها ، بل اذا شتم أو ضرب فعليه أن يذهب الى خصمه ويصالحه معها كانت منزلته من منزلته . وهم يقومون لكل من سلم عليهم أيأ ما كانت حاله وسنه حتى السائل »

مجلة البيان ص ٢٩٠ (القاهرة ١٨٩٧)

(٢) الرسته رداء ديني يتوجب لبسه على كل من يباشر أمراً دينياً مهما كان طفيفاً ، ويتألف من سبع قطع بيض وهي : العمة والنصيفة « للرأس » والثوب والسروال « للجسد » والهيانة والدشة « للخرام » والكابوع - بالكاف الفارسية - وهو كالروب يغطي الجسم بأسره

(٣) يقولون في الذبيح ما ترجمته : « بسم الله الحي القيوم . الله خلقك وجبرائيل فميك . كل نفس تأكل منك نمحي وتقدس . بسم الله الله اكبر »

ثم يشرع في ذبحها مستقبلاً الشمال . ولا يسمح لأحد أن يمس الذبيحة لأنها تنجس باللمس .

أما ذبح الدجاج فيختلف عن ذبح الأنعام إذ لا يصح فيه أن توضع الذبيحة ، حال ذبحها وبعده ، على الأرض ، إنما يفسها (الحلالي) في الماء الجاري ثلاث مرات ثم يذبحها وهي في يده ، ثم يلوي رقبتها حتى يستنزف آخر قطرة من دمه ، وبعد أن يرش



« الحلالي » يذبح طيراً

قليلاً من الملح على مذبجها ، يسلمها بيد صاحبها ، ليرميها في القدر المعد لطبخها مباشرة ، لأن وضعها على الأرض ينجسها ، كما أنها تنجس إذا لمسها أحد .
وكما لا يجوز للصائبة ذبح الذبيحة المصابة بإحدى العاهات : كالعوراء والشلاء ومشقوقة الأذن ، ومكسورة القرن ، ونحو ذلك ، كذلك لا يجوز لهم ذبح الدجاجة العوراء ، أو المعتلة بإحدى العلل . وعلى كل يشترط حضور شاهد « ويسمونه إشكندم »

ليشهد رسوم الذبح في جميع الأحوال وهو حافي القدمين ، ما سكا كتف (الحلاي)
بيده اليمنى ، ولا بساً الحلة الدينية المعروفة : «الرسنه» .

ويحرم الذبح بعد غروب الشمس ، وقبل شروقها ، إلا في أحد أعيادهم المسمى
بعيد البنجه ، وهو عيد يستمر خمسة أيام ، كما يدل على ذلك اسمه المأخوذ من اللفظ
الفارسي ، وفيه يتساوى الليل والنهار . فإذا ذبح (الحلاي) ذبيحة غير مستوفاة لهذه الشروط
أو في غير هذه الاوقات ، فإنه يسقط (أي يأثم) ويتوجب عليه التعميد للتكفير عن
خطيئته

٢ - الترميدة

يقدر^١ج (الحلاي) الى درجة ترميده إذا فقه الكتابين المقدسين (سدرأ دنشائنا)
و (أنباني) أي كتابي النفوس والأذكار ، أو حفظ قسماً كبيراً منها ؛ وبعد ان يجري
الرسوم الخاصة لهذا التدرج وذلك بأن يتطرّس (١) أي يعتمد بالارتماس في الماء المتصل
ببئر تابعة عند ال (مندي) ويبني له عريشاً من القصب النظيف يقال له المجلس يحضره
طبقة من رجال الدين ، من درجة مماثلة للدرجة التي يريد الانخراط في سلكها ،
ومن درجة كنزيرا فيمكث معهم سبعة أيام كاملات لاتغض له فيها عين ، خشية أن
يتطرّق الشيطان إليه فيحتلم ، ويفسد عليه عمله ، لأن الاحتلام عندهم دليل على عدم
كفاءة الرجل (الحلاي) إلى هذه الدرجة (الترميدة) ولهذا السبب نراه يضطر إلى
الإكثار من تلاوة الكتب ، والأدعية ، وإقامة الولائم والافراح ؛ ودق الطبول
والأبواق ، حتى تنتهي المدة المذكورة . ومنهم من يحتفظ بقفذ ، وهو حيوان صغير ذو
أشواك ، فيطلقه عليه إذا در كته سنة من النوم فينتبه من شدة الألم ويحاذر الوقوع

(١) تطرّس المؤمن إذا تمعد . وتطلق كلمة «الطراصة» عند المندائية على التعميد الذي يجري
لن يدخل في سلك رجال الدين ، أولن يرتقي من منصب ديني إلى منصب آخر أرفع منه .

في مثلها . فإذا أتم المدة كاملة الشروط ، أصبح (ترميده) أما مجلسه المذكور فيسمى (شخنتا) وهو مجلس خاص كالصبيان يشوونه لهذه الغاية فقط ، فإذا تم الغرض من إنشائه هدموه فوراً .

ويجوز (للترميد) أن يعقد على المرأة الثيب ، إذا كان نقياً ، حسن السمعة والسيرة ؛ فتتخصص وظيفته في العقد على الثيبات ، ويحرم عندئذ من الارتقاء إلى درجة (كنزبرا)



« الترميد » الشيخ فرج بن الشيخ سام بلباس « الرسته »

ولا يمارس أعمالاً دينية غير العقد المذكور ، فلا يذبح ، ولا يمشي في جناز ، ويسمى عندئذ (الاليسق) - بالتصغير - أو (كنزبرا من الدرجة الثانية)

٣ - الكنزبرا - Al Qanzibra

لا بد للترميد الذي يريد أن يرتقي إلى درجة (كنزبرا) - أن يكون مطلعاً على كثير من التفاسير والشروح الدينية ، وحافظاً لكتاب (الكنز) - كتابهم

الرئيس - وأن يكون متزوجا وغير عقيم ، وسبق له أن عقد مهرآا (تريمده) من قبل ، فإذا لم تكن له زوجة وذرية لا يصح له أن يصبح « كنزبرا » وإذا ارتقى إلى هذه الدرجة ، وجب عليه الانقطاع عن موافقة زوجته حتى يعقد مهرآ آخر لعالم من درجة (تريمده) فتباح له الموافقة التي منع عنها ، كما يشترط عليه أن لا يكون قد عقد على ثيب ما ، لأن العقد على الثيبات من إختصاص (الايسق) أي (التريمده) الذي



« الكنزبرا » الشيخ عبد الله بن الشيخ سام بلباس « الرسته »

وقف نفسه للعقد على الثيبات - كما أسلفنا - فتسمى بهذا الاسم أما الرسوم التي يجب عليه أن يجريها لذلك ، فهي إقامة عريش من القصب والطين ، وسعف النخيل النظيف ، يسمونه « شختا » على مقربة من بئر متصلة بماء جار عند (مندي) يتطرس فيها بمشهد من رجلين من الدرجة التي يسعى اليها ، وأثنى آخرين من درجته الأصلية (تريمده) فإذا أتم هذه الرسوم ، أصبح (كنزبرا) أي مفسر كتاب

الكُتْزَا ، أو صاحب الحق في تفسير هذا الكتاب الرئيس المقدس . على أن لا يتم ذلك إلا في عيد الپنجة . والعامّة تسمي الكُتْزِرا « القس »

وليس بين الصابئة اليوم غير عدد محدود (لا يتجاوز عدد الاصابع في اليد الواحدة) من أرباب هذه الدرجة ^(١) . أما الدرجتان : الرابعة ، والخامسة ، اللتان سيأتي الكلام عليهما ، فلم يبلغ اليهما أحد في هذا العصر ، لعدم توفر الشروط المطلوبة لهما في أحد من الصابئين الحاليين .

٤ - الأَرشمة

« الأَرشمة » كلمة مندائية معناها « رئيس الامة » وصاحب الكلمة النافذة فيها ، وليس بين الصابئة اليوم من بلغ هذه الدرجة بعد .

ويشترط للكُتْزِرا الذي يريد الارتقاء إلى درجة « الأَرشمة » أن يكون عالماً كبيراً ، وشخصاً ذا أهلية وكفاءة ممتازين ، تجعلانه جديراً بهذا المنصب الخطير .

أما الرسوم التي يجب أن يجربها فلا تختلف عن تلك التي يؤدّيها (الترميده) الذي يريد التدرّج إلى درجة « كُتْزِرا » إلا في عدد الأشخاص ، الذين يحضرون إقامة الرسوم من طبقته ، فإنه يشترط أن يكون عددهم سبعة ، وأن يكون هؤلاء السبعة ممن استفادوا من علمه ، و « نعلمذوا » عليه ، كما يشترط أن يحضر هذه الرسوم علماء آخرون من درجة (ترميده) ليقروا وقراءة خاصة تتعلق بموضوع صيرورته أَرشمة ، فإذا لم يتوفر العدد المطلوب من الدرجتين (الكُتْزِرا) و (الترميده) لا يقبل ترشيح أحد إلى درجة « أَرشمة » .

١- مم اليوم ثلاثة فقط وهم (١) الشيخ عبد الله بن الشيخ سام ويقيم في بغداد (٢) الشيخ دخيل ابن الشيخ عبدان ويقيم في ناصرية المنتفق (٣) الشيخ نجم بن الشيخ زهرون ويقيم في البصرة

بمعين الشروط التي يجتاز بها «الكنزيرا» إلى درجة (أرشمه) يرتقي الأرشمه إلى درجة (رباني) إلا أنه يختلف بعدد الشهود الذين يحضرون طراسته (نعمبده) فإنه يشترط أن يحضر إقامة هذه الرسوم الدينية سبعة أشخاص من كل من الطبقات الثلاث: الترميده والكنزيرا، والأرشمه، ويثقل الشهود المذكورون، لدى إقامة هذه الرسوم، أذكارا وأدعية خاصة، في أيام معلومة العدد، فإذا ارتقى (الأرشمه) إلى هذه الدرجة؛ فإنه يرتفع إلى عالم الانوار (آلي دنهورا) ليسكن فيه، فإذا اقتضى تبليغ طائفته بعض الشرائع والسنن الدينية، نزل إلى الأرض لإداء هذه الرسالة ثم عاد إلى عالمه النوراني ويقول الصابثون أنه لم يزل هذه المرتبة من السابقين حتى الآن إلا يحيى بن زكريا عليه السلام، وهو النبي المسمى في لغتهم المندائية (بهيه بهانه) كما أنه لا يجوز وجود شخصين من هذه الدرجة في وقت واحد، ويقولون إن يحيى هذا (لم يكن رسولا بل نبيا خاصا بهم).

✽ طعام رجال الدين ✽

لا يجوز لرجل الدين (الصابثي) أن يأكل من دار غير داره، إلا إذا كان قد عمدها صاحبها بيده؛ ولا من يد امرأة غير معمة من قبله، أو إذا كانت حائضا أو نفساء، وإنما يختص بزوجه التي عمدها هو، واعتمد على معرفتها برسوم الطعام، والفسيل، وإحضار ماء الشرب، فتتولى هي إحضار طعامه، وشرابه، وسائر ما يحتاج إليه، برسوم خاصة، فإن لم تكن عنده زوجة، فيتولى هو بنفسه إعداد الطعام، والشراب لنفسه.

وعلى رجل الدين أن لا يمارس أي عمل ديني إذا طرحت زوجته، أو كانت نفساء، أو حائضا، حتى تنتهي العدة الشرعية لهذه الأحوال، وتعتمد حسب الأصول

أي انه يكون مجهداً خلال هذه الأحوال الموقفة .

وقد حضر الكنزبرا ، الشيخ دخيل في منزلنا في تموز ١٩٣٠ فامتنع عن أكل ما قدم اليه من طعام ، كما انه امتنع عن تناول جرعة من الماء المقدم اليه ، رغمظمته الشديد^(١) وقد ذكر لنا أنه عندما يتناول الطعام في بيته ، فإنه يضع منديلاً خاصاً على صدره ، فإذا سقط شيء من الطعام على غير هذا المندبل ، ارتكب إثماً يكلفه التحرُّر والتحلل منه جهداً عسيراً ، ولا سيما إذا كان الفصل شتاءً ، والطقس بارداً إذ يجب عليه أن يعتمد في النهر الجاري .

ولرجال الدين هؤلاء ذبح خاص ، يختلف عن ذبح العامة من أبناء الصابئة ، وهم يتولونه بأنفسهم بأوضاع مخصوصة ، وآداب يتوارثونها كابراً عن كابر ، ويتشددون كثيراً في ان لا يمس ذبيحتهم أحد غيرهم ، وأن لا يلقي شيء عليها ، حتى وإن كان عود ثقاب ، أو حجر ، أو قطرة ماء من صارية سفينة ، وقد يجوز لهم ان يذبجوا لمن كان من طبقتهم ، كما انهم يتولون تعميد أبناء طائفتهم ، وتعليمهم الامور الدينية ، والعقد على العذارى وعلى الثيبات ، بحسب درجاتهم الدينية ، ويحضروا تغسيل موتاهم ، وتكفينهم ، وحملهم الى مثاوبهم ، وقبرهم في لحودهم ، ونحو ذلك من الطقوس الدينية والسنن الاجتماعية الخاصة بهذا الفريق من الناس .

✽ معاقبة رجال الدين ✽

إذا وسوس الشيطان للعالم الصابئي (من درجة كنزبرا) فزني ثم اعترف بجرمه وتاب واستغفر ، أو إذا أقيمت الحجة على ارتكابه هذا الجرم فاعترف وأظهر الندم ، هبط الى درجة (ترميده) ووجب تعميده (٣٦٠) مرة من قبل سبعة من المؤمنين فيباح

(١) مرض الكنزبرا الشيخ جودة في العمارة فراجع الدكتور السيد حسن الحسني فوصفه هنادوا ناجعا ولكنه امتنع عن اخذه قائلا : انه يفضل الموت على شرب الدواء وقد مات فعلا دون أن يتناول جرعة من الدواء المذكور

له استعادة مرتبته (الكنزيرا) بالاسم لكنه لا يزاول غير أعمال (ترميده) .
 وإذا ارتكب (الترميده) مثل هذه الخطيئة واعترف بها ، أو أقيمت الحجة عليه
 فغاب واستغفر ، هبط الى رتبة (حلاي) ووجب تعميده (٣٦٠) دفعة بحضور سبعة
 مؤمنين فيسمح له بالاحتفاظ بدرجة (ترميده) ولكنه لا يستطيع أن يزاول غير
 أعمال (الحلاي) .

أما إذا ارتكب (الحلاي) هذا الجرم فأقيمت البينة عليه ، أو اعترف بها وطالب
 بالغفران ووجب تعميده (٣٦٠) مرة بحضور سبعة مؤمنين ، ومنع من ممارسة أي عمل ديني .
 فإذا ارتكبت زوجة (الكنزيرا) أو زوجة (الترميده) أو زوجة (الحلاي)
 هذه الجريمة النكراء فإن اعترفت بعملها ، أو أقيمت البينة عليها فاعترفت وطلبت المغفرة
 ووجب تعميدها (٣٦٠) مرة فإن رفضت التعميد أو انكرت الجريمة فإنها تطرد من بيتها
 وتجرّد من حقوقها المادية والمعنوية كافة .

وإذا أدخل (المؤمن) واجباته الدينية ، ووجب أن يعمد سبعم مرات في سبعة أيام
 بحضور سبعة من زملائه المؤمنين .

وإذا سها عن واجب ديني ، وجب أن يعمد ثلاث مرات في ثلاثة أيام بمحضر من
 ثلاثة مؤمنين .

أما إذا كل لحا غير نظيف فإنه يصبح (نازلا) ووجب عليه ان يعمد مرة واحدة
 من قبل مؤمن واحد .

ولا يظن القاري الكريم ان (التعميد) عقوبة طفيفة يحتملها كل واحد في
 سبيل تحقيق شوائه النفسية . ان التعميد عملية شاقة تتطلب الارتماس في الماء الجاري
 في كل مرة ، صيفا كان الوقت ام شتاء ، وتتطلب الخضوع الى رسوم وآداب خاصة
 يستغرق اجراءها نحو ثلاث ساعات ، وهي الى ذلك تتطلب إرضاء المؤمنين وكسب
 موافقتهم لحضور التعميد في كل مرة .

الصوم والصلاة

﴿ الصوم ﴾

لم تخل الشرائع القديمة من ذكر الصوم وفرضه ، ومن تعيينه لمدة معلومة . ففي أخبار قدماء البابليين ، والآشوريين ، حتى المصريين ، ما ينبيء بأن الصوم عبادة عرفها البشر منذ القدم ، وقد جاء الاسلام مؤيداً هذه الفريضة بقوله عز من قائل « يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ »^(١) أما شريعة الصابئين فنظراً لقدمها ، وانقطاع القائمين بها عن دراسة العلوم والفنون ، فتكاد بعض طقوسها ورسومها أن تذهب أو تتغير . فبينما نجد ابن النديم ، المؤرخ المتوفى حوالى سنة ٣٨٥ هـ (٩٩٥ م) يذكر لنا فرض الصوم عند الحرانية من الصابئين حيث يقول :

« والمفترض عليهم من الصيام ثلاثون يوماً : أولها لثمان مضين من اجتماع آذار ، وتسعة آخر أولها لتسع بقين من اجتماع كانون الأول وسبعة أيام آخر أولها لثمان مضين من شباط ، وهي أعظمها ، ولهم تنفل من صيامهم ؛ وهي ستة عشر وسبعة وعشرون يوماً »^(٢)

ومثل ذلك ما رواه ابن العبري المتوفى عام ٦٨٥ هـ (١٢٨٦ م)
« والصيام المفروض عليهم ثلاثون يوماً : أولها لثمان من اجتماع آذار ، وتسعة أيام أولها التاسع من اجتماع كانون الأول وسبعة أيام أولها ثامن إشباط »^(٣)
إن نجد الصابئة المندائية « الحاليين » يحرمون الصيام في طقوسهم الدينية ، ويرون

(١) سورة البقرة الآية ١٨٣

(٢) الفهرست لابن النديم (القاهرة ١٣٤٨ هـ) ص ٤٤٣

(٣) تاريخ مختصر الدول (بيروت ١٨٩٠ م) ص ٢٦٦

أنه من باب تحريم ما أحله الله ، وإن كانوا يتظاهرون به في أول رمضان من كل سنة بجارة لمجاورهم من المسلمين ، كما كان يفعل أبو إسحق الصابئي مع الشريف الرضي ^(١) ونجدهم أيضاً يتنعون عن أكل اللحوم ٣٦ يوماً ، مقسمة بين أيام السنة ؛ على نحو امتناع النصارى عنها . وكل هذه المتناقضات في عقائدهم إنما جاءت إليهم من تفرقهم ، ومن جهل علمائهم بما يحدث في الفنون ، وما يصل البشر إليه من الاكتشافات والعلوم .

✽ الصلاة ✽

الصلاة عند المتدينين رمز الخضوع والالتقياد لأوامر الشريعة . فالمصلي يؤدي بحركته وأعماله فروضاً اعتقادية تدل عليها تلك الحركات أو هانئك الأعمال . وإذا كان الصوم قديماً وموجوداً في شرائع الأمم البائدة ، فإن الصلاة أقدم منه بكثير . فقد صلى البشر القديم وانحنى أمام مظاهر الطبيعة ، حينما أربته وأخافته ، وهو ما زال حتى الآن ينحني تعظيماً وإجلالاً أمام ما يتصوره من القوى المؤثرة في هذا الكون .

وقد تكون « الصابئة » من أشد الأمم محافظة على طقوسهم وعاداتهم ، لذلك لا نستبعد أن تكون صلاتهم أول وضع عرفه البشر للصلاة ، وفي تأدية فروض العبادة أما الأوقات التي خصصوها لتأدية هذه الصلاة فتدلنا بوضوح على عبادة البشر الأولى ، التي كان يقدر بها مظاهر الطبيعة . وتشتمل إقامة هذه الصلاة على رسوم وظقوس أضيفت عليها على نوالي الأزمنة ، تبدأ بالطهارة والاغتسال ، وتنتهي بتأدية الصلاة وإليك البيان :

(١) « وكان الصابي على دين الصابئة - انظر هذه الكلمة - متشدداً في دينه ، وقد ألح عليه من الدولة بأن يسلم فلم يفعل . وكان يصوم شهر رمضان مع المسلمين ، ويحفظ القرآن أحسن حفظ » دائرة معارف وجدي ص ٤٣٢/٥

الطهارة

لا تصح الصلاة عند الصابئة بدون طهارة ؛ مثلهم في ذلك كمثّل بقية الأمم المتمدنة ؛ وهذه الطهارة تفرض على الذكر والانثى على حد سواء ، وكما تمنع الجنابة من إتيان الصلاة ، ومن تأدية الفروض الدينية ، عندنا معاشر المسلمين ، كذلك تمنع عندهم من تأدية الصلاة .

أما غسل الجنابة فمشروط عندهم أن يكون بالماء الحيّ ، وهو الماء غير المنقطع من مجراه الطبيعي . فماء الحمام مثلاً في نظرهم ليس بحيّ لانتقاعه عن مجراه ^(١) كما أنهم يشترطون غسل الجنابة قبل أن يأكل المجنب ، أو يشرب ، أو يدخن ؛ أما كيفيته فهو الارتماس في الماء الحي ثلاث دفعات ، من دون تلاوة شيء ما ، عدا نية الاغتسال من الجنابة ، إذ لا تجوز القراءة لمن كان على جنب .

ولكن الغسل وحده لا يكفي عند الصابئة لإقامة الصلاة ؛ على نحو ما عند المسلمين ، فلا بدّ من ضم الوضوء إليه ، وهو يجري عقب الغسل بأوضاع خاصة .

الوضوء

بشدّ المتوضيء حزامه ، ثم يجلس على النهر متجهاً نحو الجدي ، ويتلو الرخصة (النية) بلفظهم المندائية فيقول ما معناه :

« السلام عليك أيها الماء الجاري من تحت عرش الرب الذي يحيى بك كل ما في الارض » ^(٢)

(١) لما كانت ظروف الصابئة المعاشية اضطرتهم إلى الانتقال من القرى والبلدان ، القائمة على ضفاف الأنهر ، إلى التي لا ماء جار فيها ، فقد جوز علماءهم مؤخراً الاغتسال بمياه الخنفيات على أساس انها متصلة بخرزانات متصلة بمياه جارية في الأنهر ، والسواقي ، والآبار النابعة ، كما جوزوا جلب الماء الحي من بعيد ، وصبه على الجنب للاغتسال من الجنابة .

(٢) وهذا هو النص بالمندائية :

« بشيهون آدميي ربي اسوتاوزكوتا نهويلك يآب أبوهن ملكا برياييس يرهنا ربا آدمياهي »

ثم يشرع في الوضوء مبشداً بغسل اليدين ، وهو يقول ما محصله :
(غسلنا أيدينا المفتوحة بالإيمان ، ناطقين بنطق صحيح ، وقلب مؤمن بعنصر الأنوار)
ثم يغسل وجهه ثلاث مرات ، بأن يفترق الماء من النهر ويصبه عليه وهو يقول :
(تبارك اسمك وسبحان اسمك ربّي الحيّ ، تجري هذا وتكونه من نفسك دون
أن يعلم أحد بذلك)

ثم يبلّ يده في الماء ، ويجمع أصابع يده اليمنى ، ويمررها على جبهته ، من مبدأ صدغه
الأيمن حتى نهاية صدغه الأيسر ، وهو يقول ما ترجمته : (رسمت برسم الحياة)
ثم يدخل سبابتيه في أذنيه ويكرر ذلك ثلاث مرات القول (أسمع صوت الحياة)
ثم يستنشق ثلاثاً ويقول (أشم رائحة الحياة)

ثم يتمضمض مرة واحدة ويقول (من المغمورين تسبيحاً بالحياة)
ثم يأخذ قليلاً من الماء بـرؤوس أصابعه العشرة فيدقّها على ركبتيه ، فساقبه قائلاً :
(ركبتي الساجدة إلى الرب الحيّ)

ثم على ساقبه ، مرة ثانية ، وهو يقول :

(رجلي ماشية نحو شريعة العهد والإيمان)

وبعد أن ينتهي من الوضوء يقول ما معناه وترجمته :

(رسم عليّ أني لست من عبدة النار ، ولا من المختنين ، ولا من المسيحيين . أمسح

رسمي بماء الحياة الجاري في النهر من عالم الأنوار)

ثم يقذف ما بقى من الماء برأسه سبابتيه ثلاث مرات ؛ كأنه يطرد النجاسة عن
نفسه ، ويقول :

(اني فلان بن فلان أتعمد عماد بهرام روري ، الملك الصالح من الملائكة الصالحين ،

نعمدني وانظري واصعدني إلى العلى)

ثم يغسل رجله ويقول (رجلي أيديهم السبعة والاثنى عشر لا يتسلطون علي) ١٨

مفسدات الوضوء

أما مفسدات الوضوء فهي : البول ، والغائط ، وخروج الريح ، ولمس الخائض والنفساء ، واللحم الاجنبي ، وأكل شيء ما قبل إتيان الصلاة . أما رفع الأنف ، أو خروج الدم من الفم ، أو من موضع آخر من الجسم ، فإنهما لا يفسدان الوضوء ، وإنما يستلزمان غسل موضع الدم . والوضوء واجب لكل صلاة ، فلا يجوز الجمع بين صلاتين بوضوء واحد وإن كانت على طهور .

الصلاة

وتقتصر صلاتهم على الوقوف ، والركوع ، والجلوس ، على الأرض ، من دون سجود . وتستغرق تلاوة الأذكار فيها ساعة ورבע ساعة تقريباً ، وهي تؤدي ثلاث مرات في اليوم : قبيل طلوع الشمس ، وعند زوالها ، وقبيل غروبها ، أي في الصباح والظهر ، والعصر ، وتستحب الصلاة جماعة في أيام الآحاد ، وفي الأعياد أيضاً . وتجري الصلاة بأن تبدأ بالأذان ، وهو عبارة عن أذكار دينية ، تنلى بين الحاضرين بلفتهم المندائية ، بدون رفع صوت ، وبدون الوقوف على شاهق . كما يفعل المسلمون - ويتوجه المصلي عندهم إلى الجدي دائماً ، وهو بلباسه الطاهر ، حافي القدمين ، رافعاً يديه وقبلاً من رأسه ، مع إنحناء قليل ، ثم يتلو سبع قراءات يمجّد فيها الرب ، ويدعوه بأسمائه الحسنى ، ويستمد منه العون والشفاء من الأمراض ، ورفع الكوارث عن ملته وتمسير الاتصال له بعالم الأنوار ، آلمي دنهوا)

وترى الصابئة (المندائية) أن فرض الصلاة كان أولاً على آدم أبي البشر بسبعة فروض ، يصلي خمسة منها في الاوقات التي يؤدي المسلمون فيها صلواتهم ، وهي الصبح ، والظهر ، والعصر ، والمساء ، والعشاء ، واثنان توّديان في غير هذه الاوقات ، إلا أن شريعة

أدم هذه استمرت حتى ظهور يحيى بن زكريا عليه السلام، فضم بعضها إلى بعض، وجعلها ثلاثة فروض في ثلاثة أوقات، كما هو جار الآن.

هذه هي صلاة الصابئة في الوقت الحاضر، وقد ذكر ابن النديم، المتوفى نحو سنة ٣٨٥ هـ (٩٩٥ م) نوعاً من الصلاة كان يدين به صابئة حران، الذين ذكرنا أمرهم في موضع آخر، يختلف عن صلاة صابئة البطائح بعض الاختلاف. قال:

«المفترض عليهم من الصلاة في كل يوم ثلاث: أولها قبل طلوع الشمس بنصف ساعة، أو أقل، تنقضي مع طلوع الشمس، وهي ثمان ركعات، وثلاث سجعات في كل ركعة. الثانية إنقضاؤها مع زوال الشمس، وهي خمس ركعات وثلاث سجعات في كل ركعة. الثالثة، مثل الثانية إنقضاؤها بعد غروب الشمس. وإنما ألزمت هذه الأوقات لمواضع الأوتاد الثلاثة التي هي: وتد المشرق، وتند السماء، وتند المغرب. ولم يذكر أحد منهم أن من الفرض صلاة لوقت وتند الأرض. وصلواتهم النافلة، التي هي بمنزلة الوتر في لزومه للمسلمين، ثلاث في كل يوم: الأولى في الساعة الثانية من النهار، والثانية في الساعة التاسعة من النهار، والثالثة في الساعة الثالثة من الليل. ولا صلاة عندهم إلا على طهور»^(١)

ومثل ذلك ما أثبتته «ابن العبري» المتوفى سنة ٦٨٥ هـ (١٢٨٦ م) إذ قال:

والمفترض عليهم ثلاث صلوات: أولها قبل طلوع الشمس بنصف ساعة أو أقل لتنقضي مع الطلوع، ثماني ركعات في كل ركعة ثلاث سجعات، والثانية إنقضاؤها مع نصف النهار والزوال، خمس ركعات في كل ركعة ثلاث سجعات، والثالثة مثل الثانية تنقضي مع الغروب»^(٢)

(١) ابن النديم في «الفهرست» ص ٤٤٢-٤٤٣

(٢) ابن العبري في «مختصر تلخيص الدول» ص ٢٦٦

التعميد وأنواعه

« التعميد » طقوس ورسوم خاصة يكتسب بها الشيء المعتمد صفة دينية مقدسة ، فالطعام مثلاً يحلُّ بعد التعميد ، والطفل يطهر به ، والمذنب يكتسب الغفران بواسطته ، والآكل من ذبيحة غريب ، أو من لحم محرَّم ، يحلُّ إثمُه عن طريق إجرائه ، وهكذا القول في أحوال كثيرة غير هذه . فهذه الصفات الجديدة إنما اكتسبها الأشخاص ، وانصفت بها الأشياء بواسطة التعميد . وهو لا يكون إلا في الماء .

ولما كان الماء أساس الحياة عند الصابئة - كما هو عند بقية الأمم والطوائف الأخرى - فإن طقوس الصابئة الدينية ، ورسومهم الاجتماعية لا تتم إلا بالارتقاس في الماء الجاري . وهم يلجأون إليه في ثلاث حالات : في الرشامة ، والطاشة ، والمصوتا . أما « الرشامة » فهي وضوء الصابئي قبيل طلوع الشمس ليؤدي فريضة الصلاة دون أن يستعين بموئمن أو بغيره ، نظير ما يفعله المسلمون في صلواتهم ، وقد سبق وصفه عند البحث عن « الصوم والصلاة » عند الصابئة فلانعود إليه في هذا الفصل . وأما « الطاشة » فهي الطهارة بالارتقاس في الماء الجاري ثلاث دفعات متتالية دون الاستعانة بموئمن ما أيضاً . وهذه الطهارة واجبة على الحائض ، والنفساء ، والجنب ، وعلى من لمس أحداً من هؤلاء ، أو مس أجنبياً ، أو ساهم في قبر ميت ، أو خرج من سجن ، أو رجم من سفر ، أو أبل من مرض ، أو أكل من لحم محرَّم ، أو إذا نهشته حية ، أو لسعته عقرب ، أو لدغته إحدى الحوام ، أو إذا عضه كلب أو خنزير أو ذئب فأدماه . ففي جميع هذه الحالات يجب عليه أن « يطمش » في الماء الجاري سواء أكان الوقت صيفاً أم شتاءً ، كما يجب عليه أن « يطمش » أيضاً عند إستقباله كل عيد من أعيادهم القومية . وتستحب « الطاشة » عند استقبال أيام الأحاد أيضاً .

ولما كانت أحوال الصابئة المعاشية أو جبت نفر قهم في المدن والقرى المختلفة ، بعد

أن كانوا متجمعين في دساكر وأرياف متلاصقة ، وكان الماء الجاري لا يتوفر في المدن والقرى التي استوطنوها مؤخراً ، فقد أجاز رجال دينهم الاغتسال في الحمامات كما أجازوا لهم الاستعانة بمياه العيون النابعة لتحقيق هذه « الطماسة »

وأما المصوتا *Muswatta* « وهو التعميد المعروف » فيشترط فيه أن يكون على أيدي المؤمنين ، وفق رسوم خاصة وآداب مقررة ، وهو لا يجري إلا في أيام الآحاد ، دون غيرها من أيام الأسبوع ، وفي أعيادهم القومية ، ولا سيما في عيد النجاة ، وهذا التعميد أربعة أنواع :

١ - عماد الولادة ٢ - عماد الزواج ٣ - عماد الجماعة ٤ - عماد الأعياد
وسنبحث عن كل نوع من هذه الأنواع الأربعة بقدر ما وصل إليه علمنا القليل ، وتحرينا الدقيق .

١ - عماد الولادة

إذا ولد المولود وجب على ولي أمره ، أو أحد أقاربه ، أن يخبر « المؤمنين » المختص بيوم ولادته ، وبساعة الولادة ، ليعين له الزمان والمكان ، والنجم والطالع ، والبرج والمنزلة التي ولد فيها ، ويثبت له - مع مقارنة هذه الأمور - إسما يدل عليه برجه ومنزله السماوية . ويكون هذا الاسم منسوباً إلى اسم والدته الطفل ، لا إلى اسم أبيه ، ومحفوظاً للوليد وبلغتهم المندائية ، ولا يستعمل إلا في ثلاث حالات : في التعميد والزواج ، والوفاة ^(١) . وإلى هذا الاسم الديني يسمونه باسم آخر تقتضيه البيئة التي يعيشون فيها . ففي البلدان العربية يسمونه باسم عربي ، وفي غيرها من البلاد يسمونه بأسماء تلك البلاد . فبين صابئة البطائح اليوم من يسمى عبد الله ، وعبد الجبار ، وعبد الرزاق ،

(١) « وأغلب الأحيان يكتبه على ورقة ويسلمها بيد الطالب المذكور ليأتي بها يوم تعميد الولد »
المشرق البيروتية ٩٢٧/٤ لسنة ١٩٠١م

وتوفيق ، وفاضل ، ورشيد ، إلى من يسمى فرحان ، وغضبان ، وبهرام ، وشيت ،
وبيجي ، ومسلم .

فإذا مرَّ على المولود خمسة وأربعون يوماً ، وجب أن يعمد بعماد الولادة ، فيصبح
الطفل طاهراً من دنس الولادة . ذلك أن تذهب به أمه إلى عالم من درجة (كنزيرا)
أو من درجة (ترميده) فينطلق بها إلى النهر ومعه مؤمنان : أحدهما من درجة « ترميده »
والآخر من درجة « حلالي » وبعد أن يلبس الجميع لباس الاعتماد المعروف بالرسنه



﴿ تعميد طفل صابني عند « المندي » ﴾

يتوضأ المؤمن ، ويصلي على رأس الطفل صلوات يستنزل بها عليه بركات الاعتماد ، ثم
يضم خاتماً من الآس الاخضر في خنصر يد الوليد اليمنى ، يسمونه « إكليلة » ويدخل في
الماء الجاري إلى ركبتيه ، ويده عصا من عود الآس أيضا تسمى مركنة « Marqana »
فيتبعه الحلالي حاملا الطفل ، ويخوض في الماء إلى ركبتيه أيضا ، حتى يقف خلف
المؤمن ، ويكون الجميع متجهين نحو الجدي ، وعندها يشرع المؤمن في تلاوة نصوص
مندائية ، مستخرجة من كتبهم المقدسة ، ثم يغترف حفنة من الماء ويصبها على الحلالي

(حامل الطفل) بثلاث وجبات قائلا للطفل بلغتهم المندائية ما معناه :

« أعمدك باسم الثلاثة : الله ومنداي ويحيى بو حنا . أعمدك معمودية بهرام العظيم
ابن روري لتكون معموديتك حارسة لك ، ورافعة إياك إلى العلاء »

ويخرج المؤمن من النهر فيعقبه (الحلاي) ويتبعهما (الترميده) فيستل الخاتم
الاخضر من خنصر الطفل ، ويضعه على جبينه ، ثم يتناول مقداراً من البخور فيلقيه
في بجمرة معدة لهذا الغرض ، ويتلو أثناء احتراق البخور أدعية خاصة ، ثم يتناول
بضم حبات من السمسم المقشر ، المحفوظ في كبس خاص ، ويصب عليها قليلاً من
الماء (يفترقه من النهر أثناء وجوده فيه ، ويضعه في قنينة من الزجاج) وبعد ان يلقه
بأنامل يده اليمنى ، يضعه على جبين الطفل ثلاث مرات وهو يقول ما معناه :

« لقد وُسمت بسمة الحياة . اسم الحياة ؛ واسم معرفة الحياة مذكوران عليك »
وينحني « المؤمن » على قلب الطفل فيمس فيه بعض الأسماء السرية ، وبذلك
كل اسم على كل عقد من عقود أصابعه الخمسة ^(١) ثم يرفع ذؤابة لباس رأسه ، ويضعها
على كل من عينيه مرات عديدة ، ويقبلها ستين مرة فيصبح الطفل بعدها معمداً ، وعندئذ
يرفع « الترميده » الخاتم عن جبين الطفل ويضعه على شفتيه ؛ ثم على جبينه مرة ثانية ،
ثم يلقيه في الماء ؛ وعندئذ يتم رسوم الاعتماد فتأخذ الأم ولدها وتعود به إلى دارها ،
وينصرف « المؤمنون » الذين قاموا بالتعميد إلى أشغالهم الخاصة ^(٢)

(١) وهذه الأسماء لا تذكر لأحد حتى ولا للصابئة ، وإذا قلد الكاهن رقبته يقول له مقلده
الوظيفة ، حيناً يصل إلى تعليمه هذه السنة من ديانتهم : عليك الآن ان تظهر الأسماء التي هي
مذكورة في هذه الصفحة لوقت الحاجة . فيجتهد المرشح لحفظها على قلبه بدون التلفظ بها .

المشرق ٩٢٩/٤

(٢) « وإذا توفي المتعمد في أثناء العمد ، فإما أن يتم الكاهن السنة إلى آخرها على الميت ،
وإما ان يوتى واحد من المندائية يشبه اسمه اسم الميت ، وينهي عليه تسمية الحفلة الدينية »

المشرق ٩٢٩/٤

٢ - عماد الزواج

وهو الرسوم الدينية التي تجري للزوجين العروسين عند عقد المهر ، الذي يشترط أن يتم القران في يومه ، وقد شرحنا ذلك في الفصل القادم شرحاً كافياً وعلى القارى أن يتأمله ، ويتدفق ما فيه من أهداف وأغراض دينية بعيدة الغور .

٣ - عماد الجماعة

فرض على الصابئي أن يعتمد في كل عيد پنجة « Punja » من كل سنة كبيسة ، على غرار عماد يوحنا المعمدان ، ومدة هذا العيد خمسة أيام تقم في الأيام العشرة الاولى من شهر نيسان الغربي عادة ، وهو العيد الذي جرت العادة فيه أن يلبس رجال الدين الألبسة البيض ، وأن يمشوا حفاة في الازقة والطرقات ، وأن يرمقوا في الماء الجاري ثلاث دفعات قبل تناول الطعام في كل يوم من أيامه الخمسة . ويشمل هذا الإجراء أبناء الطائفة كافة ؛ رجالاً ونساء ، كباراً وصغاراً ، لأن القصد منه التكفير عن الخطايا والذنوب التي يكون الصابئي قد ارتكبها في بحر السنة المنذائية عمداً أو بغير عمد ويجري هذا التعميد بأن يذهب الصابئي إلى رئيسه الروحاني « الكنزبرا » ويعرض عليه رغبته في إنجاز هذا الواجب الديني ، فينطلق به هذا إلى النهر ، ومعه مؤمن من درجة (ترميده) وأدوات الاعتماد وهي : الرسته والبخور والمر كنة (Marqana) وخواتم من الآس الأخضر ، و كانوا صغيران (طريانتان) من الطين الحر ، وكاستان صغيرتان من النحاس الأصفر ، وقنبنة من الزجاج . وعند بلوغهم النهر يلبسون الرداء الديني (الرسته) وبعد أن يتلو المؤمنون الرخصة (النبة) بلغتهم المنذائية ' يلبس الكنزبرا طالب التعميد إكليلاً من عود الآس الأخضر في خنصره الأيمن ، وينزل إلى النهر ويفوص فيه حتى الركبتيين ، ثم يقرأ بعض الأوراد والأدعية المستخرجة من كتبهم المقدسة ، ويدعو طالب التعميد إلى الدخول في الماء خلفه ، ويوعز إليه بالارتقاس

في الماء ثلاث دفعات متتالية، وهو يفترق الماء ويرشه عليه، وبسأله في أثناء ذلك عن اسمه الديني، واسم أمه، فإذا أتم الارتماس، أصبح الرجل معمداً، وخرج من النهر، فبخراً ودهن بدهن السمسم، وأطعمه رئيسه قطعة من (الخبث) وسقاه شيئاً من ماء (المحبولا) فيهب المتعمد رئيسه ما تسمح به يده من مال وينصرف

وقد اباحت الشريعة الصابئية تعميد أبناء الطائفة في أيام البنجة ليلاً ونهاراً في حين ان التعميد في سائر المواسم والاعيان لا يجوز إلا نهاراً، وفي أيام الاحاد فقط .
دون بقية أيام الاسابيع الاخرى .

٤- عماد الاعيان

لما كان للصابئة أربعة أعياد قومية معروفة وهي : العيد الكبير ، والعيد الصغير ، وعيد البنجة ؛ وعيد يحيى ، فقد حتمت الشريعة المندائية على كل صابئي أن يتعمد في هذه الاعيان الاربعة ولو مرة واحدة في حياته . وليس من الضروري أن يجري تعميده في هذه الاعيان بالتسلسل ، وإنما عليه أن يتعمد فيها كلها، ولو في سنوات متفاوتة .
أما المؤمنون فعليهم أن يتعمدوا في كل عيد من هذه الاعيان عند حلولها .

إن من متمات التعميد، الذي يجب أن يجري في أعياد الصابئة (المندائية) نصب (إدربشا إديهي) أي علم يحيى سواء أكان طالب التعميد عالماً دينياً أو شخصاً عادياً، على حين ان التعميد في سائر أيام السنة لا يتطلب إحضار هذا العلم ولا نصبه

تعميد المؤمنين

يعمد رجال الدين عند الصابئة، كما يعمد سائر أفرادهم، إلا انه يتوجب إحضار علم يحيى، ويسمونه (أدربشا إديهي) عندما يجري تعميد أحد المؤمنين ، وهذا العلم عبارة عن عودين كبيرين نظيفين، يربطان إلى بعضهما على هيئة الصليب، وتشرع عليهما

كسوة من القز الأبيض بقولون أن فيها اشعاعاً مقدساً^(١) فإذا انتهى الغرض من استعمال هذا العلم، طوي وحفظ في دار (الكثبرا) ولا يجوز فتحه مرة ثانية إلا في المناسبات المنصوص عليها شرعاً، مثلاً عندما يشيع أحد المؤمنين إلى مرقد أخيه.



﴿ مؤمن » يعبد « مؤمناً » وأمامه « علم يجي » ﴿

(١) « يعتقدون أن الشيء المضيء في الشمس أو القمر هو دربشا أدبيته، مشابه لما يستعملونه، وعند المغرب يطوى من الشمس فتنب، ويفتح في القمر فيشرق »
الإستاذ عبد الجبار عبد الله الصابني في كتاب « العراق في القرن السابع عشر » ص ١١١

البهثة Al Pahtha

ومما يتصل بالتمعيد اتصالاً مباشراً ، ولا يجوز أن ينفصل عنه ؛ توزيع قطع البهثة ، ومياه المبول على المتعمدين كافة .

والبهثة قطعة من الخبز الفطير ، يمنحها المؤمنون إلى كل من يتعمد على أيديهم من أفراد طائفتهم ، ذكر أكان أم أنثى ؛ صالحاً أم طالحاً ، لتقيه شر الخطوب والآلام زمناً ما .

وتحضر هذه البهثة على نحو خاص وذلك بأن يأتي أحد أبناء الطائفة بمقدار من طحين البر في يوم الاعتماد ، فيهيله على كفي الترميده من علوم معلوم ، فينطلق هذا به إلى النهر الجاري ؛ ويفترق منه ما يكفي لعجن الطحين المذكور ، من دون خميرة ، ثم يخبزه على هيئة أقراص مستديرة بحجم الريال العراقي على كانون بجم ، فتعطي إلى كل من يتعمد ، ويعطى معها قليل من ماء محفوظ في قنينة قملأ من الماء الجاري ، أثناء عملية التعميد ، يسمونه (مبولاً) .

ويجب أن تستعمل أقراص البهثة ومياه المبول في اليوم الذي تحضر فيه ، لأن بقاء شيء منها إلى اليوم التالي ، يفقده مفعوله المقدس . أما إذا فاضت هذه الأقراص عن الحاجة ، فتعلق في شقوق الجدران المرتفعة ، سواء أكان ذلك في معبد (المندي) أو في دار رئيسهم الديني .



الزواج عند الصابئة

أحكام عامة

يرى الصابئون «المندائيون» أن العزوبة خطيئة لا تغتفر، وأن الزواج فرض على كل من استطاع إليه سبيلاً، ومن توفرت لديه أسبابه، وتختلف عنه، فقد حرم نفسه من نعيم الآخرة مدة من الزمن. وإذا مات مؤمن قبل أن يتزوج، أو توفي من دون نسل، فإنه - بعد انتقاله إلى آلي دنهورا «أي عالم الأنوار» - يجب عليه أن يتقمص ثانية، ويصير أباً إذا أولاد، لأن تخليف النسل واجب ديني. أما من كان معدماً، فقد حتمت الشريعة «المنداية» على المومنين تيسير أسباب الزواج له.

وقد أباحَت الشريعة المنداية للصابئي أن يتزوج ما طاب له من النساء: مثني وثلاث ورباع وخماس وسداس وسباع؛ متى تعهد أن يساوي بين زوجاته مساواة فعلية لا كلامية، وحقيقية لا صورية، على أن لا يجمع بين الاختين بصورة مطلقة، وأن لا يقرب غير صابئية، لأن الصابئي لا يكتسب الصفة الصابئية إذا لم يولد من أبوين صابئين، ولهذا فهم لا يسوغون زواج الصابئية بالأجنبي، ولا زواج الصابئي من أجنبية لثلا يخلط الدم، وبضيع النسب. فإذا نكحت صابئية أجنبياً فإنها تعد خارجة عن دينها، ولا تقبل لما نوبة ولا ردة، والعكس بالعكس.

أما المحرمات من النساء عندهم فهن اللاتي حرمتهن الآية الكريمة على المسلمين وهي: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَرَبَائِبُكُمْ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ

وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْاِخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً

وأما الطلاق ففيه مسنون عند هؤلاء القوم ، أو هو مكروه ، غير ان الشرع أباح للصائبي أن يهجر زوجته - على نحو ما تفعله النصارى - متى أقام البينة على أسباب الهجر . وتتلخص هذه الأسباب عندهم في الأمور الاربعة الآتية :

أ - ثبوت الزنا

ب - عدم الاغتسال من الحيض

ج - ترك الصلاة

د - ثبوت السرقة

وقد يضطر بعضهم إلى الطلاق ، ولكنهم يشترطون فيه أن لا يكون على أيدي رؤسائهم الروحيين ، بل عليهم مراجعة هؤلاء الرؤساء لعرض ما لديهم من أدلة وبراهين ، وعلى الرئيس الديني أن يرسل من يصدر على تطليق زوجته إلى الحاكم الشرعية الإسلامية ، فتبث فيه في ضوء الأسباب الاربعة المثبتة فويق هذا ، ثم يثبت هو بصفته الروحية ، حتى إذا أراد المطلق أن يعيد النكاح على مطلقته - وهو ما أباحته شريعته -مكنه الرؤساء المذكورون من ذلك تحت شروط خاصة أهمها التوبة ، والاستغفار ، وتجديد سنن الزواج ، وآدابه .

أما المهجورة فليس لها أن تنزرج حتى يموت هاجرها ، فتتفصم العرى الزوجية بينهما ، أما إذا ماتت هي قبله فإنها تعود إليه كنزوجة شرعية في الدار الآخرة . ولا تقتل الزانية شرعاً لأن الحدود الشرعية لا تقام على الصائبة في هذه الدنيا الفانية ولكنهم يقتلون أحياناً متأثرين بعادات مجاورتهم من المسلمين .

وعلى المطلقة أن تعتد عدة الطلاق ، وهي ثلاثة أشهر . مثلها في ذلك مثل التي

فقدت بعلمها ، ولا تستطيع أن تنكح زوجاً آخر إلا بعد انقضاء هذه المدة .
أما الأرملة فلها أن تتزوج بعد العدة المذكورة أيضاً ، إذا تهيأ لها من يتزوجها ،
ولكن النسل منها ، ومن المطلقة ، لا يستطيع أن ينخرط في سلك رجال الدين إلى
ثلاثة أشهر

والصابئة في الزواج طبقات يتميزون بها ، فلا يجوز لأحدهم أن يتزوج من طبقة
أعلى من طبقته ، وإن جاز لرجال الدين أن يتزوجوا من طبقات هي دون طبقاتهم ، كما
كانت عادات الرومانيين قديماً ، وكما هي عادات اليزيديين حديثاً ؛ أي أن لكل طبقة
أن تتزوج فيما بينها ، خلافاً لقاعدة « المؤمن كفؤ المؤمن » المتبعة عند المسلمين .

أما القائمون برسوم الزواج وسننه فهم رجال شريعتهم الذين يجب أن يكونوا
قد نعدوا مرتين على الأقل من قبل وهو لاء صنفان : يسمى الأول « الكنزبرا » وهو
الذي يعقد مهر العذارى دون الثيبات ^(١) ويدعى الثاني « الابدسق » - بالنصغير -
وهو « الترميده » الذي حرم نفسه كثيراً من الحقوق المدنية التي يمارسها زملاؤه
« الترامده » ووقفها للعقد على الثيبات .

ويكره عقد النكاح في شهر شباط لأنه من الأشهر النحسة ، التي لا يصادف
الزوجان فيها السعادة المأمولة ؛ ويسمون هذا الشهر « أول القبط »

(١) روى السيد عبد الحميد عبادة في رسالته « مندائي » ص ٣٧ أن عالماً من درجة كنزبرا
إعتمد على « امرأة من أفراد عائلته للفحص على امرأة ليقد لها فأخبرته أنها بكر وعقد لها ،
فذهبت إلى زوجها ، وبعد ممر ستة أشهر ، ولدت ولداً تام الحلقه ، فظهر من ذلك أنه عقد لها وهي
ثيب حامل ، وبما أنه عالم من درجة كنزبرا علم أنه قد ارتكب خطيئة عظيمة وذهب إلى العلماء
الذين لا يقربونه نسباً من علماء المحرمه ، وناصرية العجم ، وغيرها وأخبرهم بالقضية فأمرؤه بإسكار
التمسيد وأنه يبر. من هذه الخطيئة ، فتعمد ٣٦٠ مرة على عدد الأشخاص السماويين وعاد إلى
وظائفه العلمية كنزبرا » اهـ

الخطبة والمهر

والمتمتع في عقد النكاح هو ان الراغب في الزواج، بعد أن يعين الفتاة التي يهواها هو، ويتأكد من بثوليتها، يكلف أهلها فيرسلون احد معارفهم إلى دار تلك الفتاة لمفاتحة أهلها بأسلوب رقيق، حتى إذا ضمن موافقتهم الاولية، أرسلوا في اليوم التالي عالماً من درجة «كنزيرا» فيخطبها خطبة اصولية؛ ويقرر المهر الذي يكون في الامكان فأديته، فإن لم يجدوا (كنزيرا) استعاضوا عنه بأحد صلحاء الطائفة، وعندها لا يسمح للخطيب أن يجتمع بخطيبته حتى يحين يوم الزواج.

ويختلف هذا المهر باختلاف أحوال الرجل المالية، واموره المعاشية، فقد يكون عشرة دنانير، وقد يكون مئة دينار. وهو يفرض على الخطيب مقدماً وموخرأً، ويجوز أخذه في وقت واحد، كما تجوز كتابة صك به، إذا لم يكن ميسوراً، أو كان الخطيب مفسراً. هذا اذا كان الطرفان صالحين ليس في أقاربهما شائبة في الجسم، أو في العرض، وإلا فالبلغ يزيد زيادة فاحشة، تعويضاً عن الشائبة، وفي جميع الاحوال يشترط تجهيز الخطيبة بما تحتاج اليه من رداء وكساء، الى بعض الحلي التي تناسب حالة الطرفين. ويقول شيوخ الصابئة ان المهر لم يكن من سننهم الاجتماعية، وإنما أخذوه عن مواطنهم من المسلمين اخذاً، ولهذا فإن بين المتحولين من لا يقبل مهرأ لابنته، مما بلغ، وإنما يهبها لخطيبها هبة اذا وجده كفواً وأهلاً لها، وقد يفرق في مساعدة صهره فيسّر له نفقة الزواج ايضاً.

البكارة

فإذا تم الاتفاق على الخطبة والصدّق «المهر» زفّت العروس إلى دار الرئيس الديني «الكنزيرا» الذي يشرف على تعميدها لفحص من قبل والدته أو زوجته، أو

إحدى معارفه ، بغية التأكد من أنها بكر لم يمسه أحد بسوء^(١) فإذا جاءت النتيجة سلباً ، وجم القوم ، وخير الخطيب بين الاستمرار في إتمام الخطبة وبين فسخها ، فإن رأى استمرارها ، أحضر «الايسق» ليقوم مقام «الكثبرا» في تلاوة نصوص مستخرجة من (كتاب القلسته) وهو كتاب الفرح أو الطرب الخاص بسنن الزواج ورسومه ، لأن العقد على الثيبات من اختصاص (الايسق) كما قدمنا ، وإن رغب عنها ؛ وقف كل شيء عند حده ، وانصرف كل واحد إلى شغله ، أما إذا تحققت البكارة فإن زغاريد النساء تملأ أجواء الفضاء ، وعندها يتأكد (الكثبرا) من الخطية من أن الخطبة قد تمت برضاها ، دون جبر ولا إكراه من والديها ، وإنها ليست في حبس ، ويعين لها يوم التعميد والزفاف ، بعد الرجوع إلى (الملواشه) وهو الكتاب الخاص بمعرفة الطالع .

أما السبب في التشدد في أمر البكارة فهو الإبقاء على الفتيات متهيبات حذرات .

التعميد

ولما كان الماء أساس الحياة^(٢) كان لا بد من إجراء رسوم الزواج في وسطه ، سواء أكان الفصل صيفاً أو شتاء ، وهو ما اصطلحوا عليه بالتعميد ؛ أو الاصطباغ ، وهذا هو السر في أنهم لا يسكنون مدينة أو قرية لا يكون فيها نهر جار .

أما كيفية ذلك فهي أن تزف الخطيبة إلى دار خطيبها ، في اليوم المعدل لدخول فيها ، وبشروط أن يكون ذلك في يوم الأحد من أي أسبوع كان ، عدا الأسبوع الذي يقع فيه عيد البنجة (Punja) فيذبح أحد الأصدقاء ديكاً عند قدمها اليمنى ؛ كنفديها لها ؛ وبعد استراحة قصيرة تذهب الخطيبة ، ومعها أمها ، وسائر من يصحبها من

(١) «وفي الوقت الحاضر يعمد بعضهم إلى استحصال تقرير طبي من طيبة أو ممرضة رسمية»
الاستاذ عبد الجبار الصابي . في كتاب (الراق في القرن السابع عشر) ص ١٥٩

(٢) «وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ» سورة الانبياء : الآية ٣٠ .

أقاربها ، إلى دار معروف لهم تكون قريبة من النهر الجاري ، أو إلى بستان قائمة على النهر ؛ حيث يكون في انتظارها عالمان من درجة (ترميده) وفقهه من درجة (كنزبرا) فإن لم يكن هؤلاء في البلد الذي يجري الزفاف فيه ، سافر الخطيبان إلى حيث يقيمون أو استدعاهم إلى حيث بقيان هما .
ويخلع رجال الدين البستهم الاعتيادية ، ويلبسون الألبسة الخاصة برسوم



« الكنزبرا » الشيخ عبد الله بن الشيخ سام يعبد العريس بعد مرور سبعة أيام على زواجه ويعبد القُدور والأواني التي استعملت خلال هذه الأيام السبعة .

التعميد (أي الرسته) ثم يسكون عصيهم المتخذة من شجر الآس ، ويسمون الواحدة منها مر كنة (Margana) ويضعون في خناصر أيديهم اليخني خواتم من عود الآس الأخضر (يسمون الواحد منها إكليلة) وبعد أن يتوضأوا في النهر الجاري (وهم حفاة مستقبلين الجدي) يشرعون في قراءة الفاتحة (ويسموننا يني رهي) فتستغرق

قراءتها نحو نصف الساعة، ثم تتقدم الخطيبة فتستبدل ثيابها بلباس (الرمقه) وبعد أن
يتأكد (الكفزي) من أن لبسها تم كاملاً، حسب الأصول الشرعية، يضع في خنصرها
الـ (الكيلة) ويلقنها بعض العبارات باللغة المندائية، ويكون أحد (الترميدين) قد نزل
إلى النهر، ويده (مر كتنه) وغاص فيه حتى الركبتين، فيشرع في قراءة بعض نصوص
مستخرجة من كتاب (القلستا) الخاص برسوم الزواج وسننه، ثم يستدعي الفتاة
المخطوبة فتنزل في النهر وتجلس على ركبتها إلى يمين (الترميده) ويأمرها هذا فتنظف
فيه ثلاث غطسات، وهو يرش الماء عليها ثلاث دفعات، ثم يمسكها من رأسها،
ويلامس جبينها سطح الماء، ويمرر أصابع يده اليمنى على جبينها ثلاث مرات، وبعد
أن يطهر يديه في الماء، يغترف مقداراً منه بكفه اليمنى فيسقيها ثلاث جرعات،
ويتلو عليها أثناء ذلك آيات بركات الاعتماد، ثم ينزع إكيله من خنصره، ويضعه تحت
عتمه، ويأمر الخطيبة فتخرج إلى المكان الذي جاءت منه، وتجلس إلى وعاء من الطين
الحار يسمونه «طريانه» فتبخّر بالبخور المشتعل في «الطريانه» ويتبعها (الترميده)
فيخرج بعد أن يكون قد ملأ قنينة من الزجاج بالماء، أثناء وجوده فيه، ليقرأ عليها
شرعة النكاح، ويطعمها قطعة من (الپهته) ويسقيها قليلاً من ماء المحبولة الذي في القنينة
ويدهن جبينها بدهن السمسم، ويرمي إكيلها في النهر، ثم يعود وإياها مرة ثانية إلى
النهر، ويمرر عليها ما أجراه أولاً، سواء ما كان منه قبل الدخول في النهر أو بعده،
وبذلك يتم تعميدها، فتستبدل حلتها المبتلة بأخرى يابسة، وتخرج ويدها مصباح
إشارة إلى كونها عروساً معتمدة لا يجوز مسها، لأن لمس العروسين خلال الأيام
السبعة الأولى من العرس ينجسهما، وتذهب توالاً إلى حجرة خاصة تسمى (حجله)
وتكون فيها ناموسية بيضاء تدعى (الكلة) فتجلس تحنها في انتظار خطيبها وهي على
أحر من الجمر.

ويجب أن يحضر جميع هذه الطقوس فتي، هو عادة ابن أحد المؤمنين، أو أحد أنجال اخوته؛ فإن لم يكن لهذا المؤمن ابن أو ابن أخ، جيء بهذا الفتى من الخارج على أن يكون نظيفا - أي من عائلة غير معتلة - ومعمداً، ليشهد أن الطقوس قد تمت حتى الآن بصورة صحيحة. ويسمى هذا الفتى (الاشكندي)

أما الخطيب فإن (الترميده) الثاني بعده كما عمد زميله (الترميده الأول) خطيبته، لأن الواجبات الدينية هي على الذكر والانثى سواء في نظرهم. فإذا ما انتهى من ذلك استبدل (رسته) المبتلة بأخرى يابسة، وعلق في سفيفتها (الاسكندولة) لتبقى معلقة بجزامه مدة سبعة أيام " واستعد للدخول في (المجلس) المشيد خصيصا لاتمام



﴿ الاسكندولة ﴾ التي يحملها العريس مدة سبعة الأيام الأولى من عرسه ﴿

صبغة المهر، وخلال هذه الفترة لا يجوز له أن يأكل أو يشرب أو يدخن؛ لا هو ولا خطيبته، حتى يفرغ من عملية (قطع المهر) فإن عطشا، استأذنا (الكنزبرا) ليسمح لها بشرب الماء من النهر، وإن جاعا أكلتا من طعامه ما يسد به الرمق. أما (الكنزبرا)

(١) « الاسكندولة » كلمة مندائية معناها « سكينة الدولة » وتطلق على خاتم بحجم « الريال » نقش عليه صور الحية، والعقرب، والاسد، والزنبور، فترمز الحية إلى « الأور » والعقرب إلى « سركي وسركاني » والاسد إلى « اشدوم » والزنبور إلى « كاف وكافاني » وكل من هؤلاء روحاني من عالم الظلمة. ويقول المندائيون ان شعار دولتهم قديما كان هذه « الاسكندولة »

و (الترميدان) فانهم يستبدلون (رستانهم) المبتلة بأخرى يابسة استعداداً لانجاز رسوم الزواج في المجلس المذكور .

مجلس المهر

مجلس المهر «ويسمونه أندرونا أيضاً» عبارة عن اثني عشرة شبه (حزمة) من القصب النظيف المقشر، في كل منها قضبان، مربوطة الى بعضها بخوص النخل الموي على نفسه على شكل مربع متساوي الأضلاع، في كل ضلع من أضلاعه أربع شبّات، وله باب مفتوح مقابل للجدي، وفوق سطحه كلة (ناموسية) بيضاء، وفي وسطه بعض الحصر النظيفة . ثم يحضر (الكنزبرا) والترميدان والخطيب وو كبل عن الخطيبة، بسمونه (الأب) ^(١) وهم بالبستهم الدينية البيض (أي الرسته) وبعد أن يتلو الفقيه بعض النصوص الدينية، وهو خارج المجلس، مستقبلاً الجدي، يوافيه أحد الصبية بسلة فيها ألبة العريس مع ألبة عروسه وكتنها الخاصة، فيضع (الكنزبرا) (مر كنته) فيها ليباركها، ويمرّك الصبي السلة ذات اليمين وذات الشمال، ثم يذهب بها الى حيث تجلس العروس، فينصب لها كتنها، ثم يعود ويأخذ كوزاً من الفغار الجديد (شربه) فيرميه على حجر رحي موضوع على عتبة (المجلس) فيتشم، وعندها يذهب أحد (الترميدان) الى النهر، ويده إبريق من الفضة أو المعدن الأبيض، فيملاًه ويلفه بقماش أبيض لفاً محكماً بحيث لا يظهر شيء منه . ويدخل المؤمنون (المجلس) فيتبعهم الخطيب، ويمسك طرفاً من عمة (الكنزبرا) ويأمر هذا بإخراج الكتب المقدسة من كيسها الخاص الأبيض، ثم يضع الطرائف (أو الطرائن) وهي ثمانية أزواج، ويصب الترميدة (حامل الإبريق) الماء على يدي (الكنزبرا) ثلاث مرات، فيرشه هذا بدوره على الطرائن، ويخرج مقداراً من السحسم المقشر والملح المصفى، ويرشها على الطرائن أيضاً، كما يضع على كل طريانتين قطعة من

(١) الأب رجل من طبقة «الخلالية» المسمى يكون سنه أكبر من سني العروسين عادة، ويتولى حسم مشاكهما في حياتهما الزوجية .

السحك المشوي، وأخرى من البصل. ثم يؤتى بسبعة وعشرين رغيفاً من الخبز الفطير، الذي أعدّه أهل الخطيب، فيوزعها على الطرائن، راضعاً على كل زوج ثلاثة أرغفة، وجاعلاً الأَرغفة الثلاثة المتبقية أمامه، ثم يمسك - وأحد الترميدبن - أحد الأَرغفة التي أمامه، وبعد أن يتبادل وإياه بعض العبارات المتداية يقتسمان الرغيف، ويخرج من الكيس مقداراً من الجوز واللوز والتمر والزبيب والكشمش والملح والبصل، ويعمل منه لقمتين ليعطي إحداهما إلى العروس، والأخرى إلى العريس فيأكلانهما كنماوس للزواج، ويأمر (الكنزبرا) وكيل العروس (الأب) فيدخل المجلس، ثم يأمر الخطيب فيجلسه أمامه، ويؤمسه ذؤابة عمته، ثم يشرع في تلقينها بعض الأوراد الخاصة بشرعية النكاح، وما فيه من خير وبركة للحلة، فإذا فرغوا من ذلك، صافح الأب الخطيب ثلاث مرات، وأعطى الكنزبرا كلاً منها اللقمة التي أعدّها له كنماوس للزواج، فيأكل الخطيب لقمته، ويشرب بعدها شراباً خاصاً أعدّه لهذه المناسبة، وبذلك يحل صومه لموقت، ويذهب الأب إلى العروس فيطعمها لقمته، ويسقيها قليلاً من الشراب الذي شرب منه خطيبها، ثم توزع أرغفة الخبز على الحاضرين فيأكلونها، ويرمون ما تبقى منها في النهر. ويعود الأب إلى (المجلس) ويمسك بيده قنينة (ماء المملولا) التي كان (الترميدة) قد ملأها من النهر، أثناء عملية الاعتماد، كما يمسك الخطيب ذؤابة عمة الكنزبرا مرة أخرى وبعد تلقينها نصوصاً دينية يطول شرحها، يصطحب (الكنزبرا) الخطيب والأب إلى (حجلة) العروس؛ ويأمر أحد الصبية فيكسر كوزاً ثانياً على العتبة، ثم يقدم العريس إلى عروسه، ويضع يده في يدها، ويحلفه أمامها بأن لا يخونها ولا يظلمها، كما يحلفها أمامه بأنها لن تخونه ولن ترتكب إثماً يخجله، وعندها يجلس الخطيب وظهره على (الكلة) التي فيها خطيبته، وكذلك تفعل الخطيبة من عندها؛ بحيث يكون الخطيبان ظهراً لظهر، ويأمر (الكنزبرا) الخطيبة أن تنطح رأس خطيبها ثلاث نطحات، ولكن برفق، وتثلي

خلال ذلك بعض الأوراد والأذكار، ويعلم الأب بأنه قد زوج كريمته من خطيبها، ثم يصفح صهره؛ وينتقل الجميع إلى المجلس، فيجلس العريس في الوسط؛ ويقرأ (الكنز برا) على رأسه أوراداً أخرى ثم يقرأ «مر كنته» ثلاث مرات للدلالة على أن العروسين قد استوفيا شروط العرس، وأصبحا نجسين لا يجوز لمسهما، أو مواءا كلتھما، أو مشاربتهما، مدة سبعة أيام ويسمون هذه الحالة «صورثا» فإذا انتهت هذه المدة تعمدا وكافة القدور والصحون والأواني التي أكلا أو شربا فيها خلال هذه الأيام في المساء الجاري، وخالطا غيرهما من أبناء الطائفة (وإذا مات في مطاوي هذه الأيام أحد العروسين فالميت يعتبر نجساً، ويتطهر من نجاسته في المطرائي لكن لا يعد أبداً خارجاً عن عداد المندائية) ^(١) أما الحبة التي يستوفيا القائمون برسوم التعميد ومنه، فتختلف باختلاف حالة العروسين المالية، ولكنها لا تقل اليوم عن ستة ذنانير

هذا وصف دقيق لحفلة تعميد العروسين: كريم بن سكر، وبدرية بنت جثير التي أقامها الكنز برا (الشيخ عبد الله بن الشيخ سام) والترميدان: الشيخ فرج بن الشيخ سام، والشيخ خزعل بن الشيخ باهر، في يوم الأحد الموافق ٢٧ حزيران ١٩٥٤ في (بستان الشاندر) في الكرخ من بغداد، وقد سمح لنا الشيخ عبد الله المشار إليه بحضورها، كما سمح لنا بمشاهدة تعميد عريس وعروس مر على عرسهما أسبوع كامل ووجب تعميدهما من جديد، ليتسنى لنا وصف حفلات زواج الصابئة وصفا صحيحاً.

الحيض والنفاس

أقل مدة الحيض عند الصابئة ثلاثة أيام، وأوسطها خمسة، وأكثرها سبعة، على حين أن أقله عند المسلمين، والنصارى، ثلاثة أيام، وأكثرها عشرة، فإن استمر بعد العشرة فهو استحاضة.

(١) الأب انتاس ماري الكرمل في «المشرق» ٥-٣٩٦، ١٩٠٢.

أما مدة نفاسها فثلاثون يوماً ؛ ولا تحلّ للزوج واقعة زواجه في مدتي الحيض
والنفاس ، حتى وإن طهرت قبل انقضائها ؛ مخافة أن يعود الدم إليها ، فإذا انتهت مدة
الحيض ، ذهبت إلى الماء الجاري ، وارتغت فيه ثلاث مرات بكامل ثيابها .
أما النفاس ، فإنها ترمس مثل هذا الإرتماس ، بعد مضي الأسبوع الأول على
النفاس ، على أن تجدد في ختام الثلاثين يوماً ، وهي مدة النفاس الشرعية :
وكما لا يجوز للحائض أن تلمس أي شيء خلال مدة الحيض ، فإن الشارع
يحظر على النساء أن يخالط أحداً أو يجتمع بأحد ما خلال الأيام السبعة الأولى من نفاسها ،
فإذا (طمشت) بعد انقضاء هذه الفترة ، جاز لها أن تخالط الناس ، ووجب تعميم كافة
الصحوح والأواني التي استعملتها أو أكلت فيها خلال مدة نفاسها
أما طبخ شيء ما في بيتها ، أو القيام بأية خدمة كانت ، فإنها من الأمور المحرمة
عليها حتى تنتهي مدة نفاسها الشرعية ، وهي ثلاثون يوماً ، وتعتمد اعتماد النفاس
الآخر فتطهر من دنس الولادة .



أعياد الصابئة

✽ وعدد نفوسهم ، ومساكنهم ، وصناعاتهم ✽

✽ الأعياد ✽

تتألف السنة عند الصابئة «المنداية» من (٣٦٠) يوماً ، وهي تقسم إلى اثني عشر شهراً ، في كل شهر ثلاثون يوماً ، وتبتدىء السنة عندهم بشهر نيسان الشرقي «الرومي» وتليه الشهور على الترتيب بأسماء تختلف قليلاً عن أسماء الشهور الشرقية^(١)

أما بدء التاريخ عندهم فينقسم إلى ثلاثة أقسام : فبدء الخليقة وهبوط آدم أول تاريخ تضبط به السنين عندهم ، ويليه عام الطوفان ؛ الذي يعتبر الأمد الثاني لتحديد السنين ، ثم ولادة يحيى بن زكريا (ع) التي لا تفرق في المدة عن ولادة ابن خالته السيد المسيح (ع) إلا بستة شهور ، لذلك فهم يتفقون في بداية تاريخهم الأخير مع التاريخ الميلادي ؛ ويتخذون منه تاريخاً لا مورهم الدينية وشؤونهم الشخصية .

أما التاريخ الهجري فيعتقدون بصحته أيضاً ، ويستعملونه في كثير من معاملاتهم الرسمية والدينية ، نتيجة لاختلاطهم مع المسلمين من جهة ، ولأن ظهور نبي المسلمين : محمد بن عبد الله ﷺ كان منصوباً عليه في بعض كتبهم المقدسة من جهة أخرى ، وهو بداية العهد الأخير الذي يحتاج إلى إصلاح .

وهم يعظمون يوم الأحد ، كالنصارى ، ويقدمونه كثيراً ؛ ويعطلون فيه أشغالهم كافة ؛ لأنهم يعتقدون بنزول (همبشبة) أحد الثلاث مئة والستين شخصاً السماويين من عالم الأنوار (آلي دنورا) إلى الأرض في هذا اليوم ليعمد أهل (مشوفي كشطة) ولهذا

(١) هذه هي أسماء شهورهم : ١- نيسان ٢- ايار ٣- سيوان ٤- تموز ٥- آب ٦- أيلول

٧- تشرين ٨- مشروان ٩- كانون ١٠- طبات ١١- شباط ١٢- آذار

فإنهم يسمون يوم الأحد باسم هذا الشخص السماوي (همبشبه) ويقولون أنه ابن «ماري أدربوثا ليث» أما بقية أعيادهم فهي :

١- العيد الكبير

ويسمى عيد (دهوه رباً) أي عيد ملك الأنوار، أو عيد (نوروز رباً) أي عيد اليوم الجديد، أما العامة فتسميه (عيد الكرصة) إذ يكرسون (بعتكفون) في بيوتهم ٣٦ ساعة متتالية، ومدته أربعة أيام تبتدىء باليوم السابع من شهر آب من كل سنة مندائية، وتنتهي بنهاية اليوم العاشر منه^(١)

وهم يسمون اليوم الأول من هذا العيد (كنشي وزهلي) وفيه تنحرف الحراف، ويدبح الدجاج، وتشجر التناير لعمل الخبز و(الكليجة) لتؤكل خلال أيامه، ويوزع الباقي على الفقراء، إمامي ساعة الذبح، وإمام بعد انتهاء أيام العيد مباشرة، كما إنهم يحلون

(١) رأت وزارة السيد حكمت سليمان أن تشمل «الصابنة» بعطف الحكومة فشرعت لهم قانوناً بأعيادهم القومية. وقد جاء في الفقرة الأولى من قانون تعديل قانون العطلات الرسمية رقم ٧٢ لسنة ١٩٣١م، رقم ٢٩ لسنة ١٩٣٧م، هذا النص :

«تضاف الفترتان الآتيتان إلى المادة الخامسة من قانون العطلات الرسمية :

«٣- والأيام الآتية أيام عطلة رسمية فيما يخص الصابنة :

«أربعة أيام العيد الكبير «دهوه رباً» ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ آب

«يوما عيد الصغير ٢٣ و ٢٤ تشرين ثاني

«خمسة أيام عيد البنجة ٥، ٦، ٧، ٨، ٩ نيسان

«يوم عيد النبي يحيى ٩ حزيران» هـ

وهذا الشريعة الذي وضع بناء على طلب رؤساء الصابنة، يحل أعيادهم القومية أربعة لا خمسة - كما توهم البعض - وينص على تعيين أعيادها نصاً صريحاً لا لبس فيه ولا غموض، إلا أن هذه المواعيد قد تأخر بضعة أيام، وقد تقدم لأن شهورهم ثلاثون يوماً. فقد ابتداء عيد البنجة لسنة ١٩٢٥ مثلاً باليوم السابع من نيسان الميلادي، وابتداء هذا العيد لسنة ١٩٣٢ بالخميس من نيسان المذكور، بينما وافق حلوله في سنة ١٩٥٤ باليوم الأول من نيسان الميلادي أيضاً، وهكذا القول في بقية الأعياد.

الأواني، ويفسلون الألبسة؛ ويبأون كل شيء قبل دخوله، ويستقبلونه بالارتماس في الماء الجاري ثلاث مرات، إمعاناً في تطهير الأبدان من الأدناس.

ويقول الصابئة إن الملك الموكل بالماء يعرج، وسائر ملائكة الأرض، إلى عالم الأنوار ليشاركو أهله أفراسهم، التي يقيمونها في هذا العيد، فيستغرق عروجهم ١٢ ساعة، ويمكثون بينهم ١٢ ساعة، ويعودون إلى هذا العالم فتستغرق عودتهم ١٢ ساعة، ولهذا يذخر أبناء هذه النحلة ما يكفيهم من الماء خلال هذه المدة في الأوعية، والجرار ونحوها، لأن مياه الجداول والسواقي، حتى الأنهر الجارية، تكون معرضة لخطر التلوث أثناء تغيب الملك المذكور (وصحبه) في عالم الأنوار، وهم حين يكرسون (يعتكفون) في بيوتهم ٣٦ ساعة، لاتغمض لهم عين، خشية أن يتطرق الشيطان اليهم، لأن الاحتلام يفسد عليهم هئاهم، ويسلبهم بهجة عيدهم، كما أنهم يحفظون طيورهم وأغنامهم ومواشيهم عند مجاورتهم من المسلمين ليعلفوها، ويحتلبوها بالنيابة عنهم، لأنهم ممنوعون شرعاً من القيام بأي عمل دنيوي في هذا العيد الكبير. فإذا عاد أحد هذه الحيوانات الداجنة إلى بيته خلال هذا العيد عفواً، سقط وحرم أكله، وإذا لامس أحد أمن أهل البيت وجب على الشخص الملامس أن يتعمد بعد انقضاء أيامه

وإذا احتضر الصابئي خلال الـ ٣٦ ساعة المذكورة، فيفسل بالماء المذخر في بيته، ويكفن، ولا يدفن إلا بعد انتهائها، وتعد الوفاة في مثل هذه المدة كارثة تهدد العائلة بالخطر، طوال السنة الجديدة، أما من مات فجأة بسكتة قلبية أو نحوها فلا يدفن إلا بعد انتهاء هذه المدة أيضاً، ثم يراجع العالم الروحاني بعد انتهاء العيد ليعمل له الثواب، ويهدي كفنًا باسمه إلى أحد الفقراء، وينحر لروحه خروفاً أو حمامة أو نحو ذلك. وإذا عض حيوان صابئاً في بحر هذه المدة، أو نهشته حية، أو لسمته عقرب، فإنه يعزل عن أهله، ويمنع عنه الأكل والشرب والاختلاط بأحد ما، حتى إذا انتهت مدة

«الكرصة» غمدوه في الماء الجاري سبعين مرة، ليبرأ من أثر العدوان المذكور .
وبعد أن تنتهي مدة الاعتكاف بدقائق معدودات «يطمش» المعتكفون في المياه
الجارية حتى إذا أسفر الصباح، خرجوا من ديارهم لمعايدة بعضهم بعضاً، مبتدئين بالرئيس
الديني «الكنزير» ليسمعوا منه حوادث السنة الجديدة، فإن علماءهم يراجعون كتبهم
المقدسة، ولا سيما سفر الملوثة «أي كتاب البروج» في مثل هذا العيد، ليستكشفوا
حوادث السنة المقبلة؛ وما يقع فيها من خير وشر، ثم يرد الرئيس الديني الزيارة لأتباعه،
ويعلق على مداخل بيوتهم أكاليل من الآس فتبقى معلقة طوال السنة، لتطرد عنهم
النوايب^(١)

ولهم في هذا العيد عادة تكاد تكون شائعة بين جميع الشعوب، التي تحتفل بعيد
النوروز، فهم يستحضرون صحنوناً من الفخار على عدد أفرادهم من الذكور، يسمونها
طرائن^(٢) ويملاؤنها فواكه طرية ويابسنة من الخوخ والتفاح، والجوز واللوز، والفسق
والبندق ٠٠٠ الخ، ويشعلون حولها الشموع فتبقى مشتعلة طوال الليل، دون أن يمسها
أحد، فإذا كان الصباح أكلوا منها فرحين مستبشرين، ورموا الطرائن في المياه الجارية
وهي فارغة .

٢ - العيد الصغير

ويسمونه (دهوه حنينه) وهو العيد الذي جمّد فيه جبرائيل الأرض بعد أن كانت
غازاً^(٣) ومدته الشرعية يوم واحد، والكيفية يومان، ويقع بعد العيد الكبير بمئة

(١) إذا حلت السنة الجديدة عند الطائفة الزيدية، انطلقت الفتيات إلى البراري لجمع النور الأحمر
«شقائى النمان» فيركنه بالطين على مداخل الدور وغرفها في ثلاث بقع متساوية البعد من بعضها بعضاً
(٢) مفرداً طريانة
(٣) يعتقد الصابئة أن الله أراد أن يخلق العالم فجعله من ماء أولاً، ثم أمر جبرائيل فهبط إليه

وجعله، وجعله تربة كما هي .

وثمانية عشر يوماً ، وتقدم فيه القرابين عن أرواح الموتى بابتهاج ، وتقام أعمال البر والإحسان ، ويجري فيه تعميم المؤمنين ، ومن شاء من المندائين المتدينين

٣ - عيد البنجة - PUNJA

ويسمونه «دهوه پرونايا» ويستغرق خمسة أيام ، كبديل عليه لفظه الفارسي ، وهي الأيام الخمسة التي تكبس بها السنة ، لأن شهورهم ثلاثون يوماً ، وهو يقع بعد العيد الصغير بأربعة أشهر ، ويكون غالباً في العشرة الأولى من نيسان ، وفيه تفتح أبواب



﴿ مؤمن ﴾ يعمد جماعة من الصابئة في «عيد البنجة»

عالم الانوار (آمي دنهورا) فتظل مفتوحة آناء الليل وأطراف النهار ، فتجوز فيه الصلاة ليلاً ، في حين أنها لا تجوز في سائر أيام السنة إلا نهاراً ، ويتقبل الآله دعوات المؤمنين الصالحة في أيام هذا العيد ، إن كانت خارجة من قلوب مفعمة بالآيمان الصحيح . ﴿ و «البنجة» عيد ديني أكثر منه عيد بهجة وفرح ، ففيه يجري تعميم أبناء الطائفة جماعات ووحدانا ، رجالاً ونساء ، على غرار عماد نبيهم يحيى (ع) ، والصابئي الذي يكون بعيداً عن رجال دينه ، يتحتم عليه الشخصون إلى حيث يقيمون ، ليجري تعميده

فيه ، ومواضع العبادة «أي المندي»^(١) إنما تنشأ وتعمد في هذا العيد ، ورجل الدين الذي يريد أن يترقى من منصبه إلى منصب آخر أرفع درجة ، إنما يجري ذلك في أيام عيد البنجة ، دون غيرها من الأيام ، والمحضر في أيامه يتمنى زهوق روحه قبل انقضاءها لتعمر في «المطراثي» من دون عذاب ولا حساب ، كما أن أهله يتمنون الوفاة له في هذا

(١) المندي هو معبد الصابئة الذي تحفظ فيه كتبهم المقدسة ، وتمقد في بهوه مجالسهم الروحية ، ويجري عنده تعميد رجال الدين . وهو يقام عادة على الضفاف اليمنى من الانهر الجارية ، ويبني من خرم القصب والبواري ، ويطل من داخله بالطين الحمر ، وتكون له نافذتان مع باب واحد ، يقابل الجنوب



﴿ معبد الصابئة «المندي» وقد وقف على بابه «الكنزبر» ﴾

ليستقبل الداخل إليه نجم القطب القائم تحت عرش الرب ، ولا يجوز لغير رجال الدين الدخول فيه خلال ساعات العمل الديني . أما النساء ، فلا يسمح لهن بدخوله مطلقاً .

ولا بد من وجود بئر متصلة بآاء النهر الجاري عند مدخل كل مندي «في الصحن الذي يحيط به» ليجري تطريس «تعميد» المؤمنين فيه . وقد كان للصابئة ستة معابد «مندي» في العراق : إثنان في قلعة صالح ، وواحد في كل من العمارة ، والمشرح ، والناصرية ، ووسوق الشيوخ ، فتقوضت الأربعة الأخيرة ، ولم يبق إلا معبد «قلعة صالح» وهم يسعون لاقامة مندي جديد في بغداد لكثرة النازحين إليها ، وضرورة وجود معبد دائم لهم فيها .

العبد ليتخلصوا من نفقات أعمال البر، التي تقام لروحه في سائر الأيام، ودهن السمسم المقدس، الذي يدهن به المؤمنون المعمدين من أبناء الطائفة، يستخرج في هذا العيد، وعلى كل يتحتم على كل صائبي أن يقدم القرايين، ويقيم الولائم عن أرواح الموتي من أقاربه وأصدقائه، حتى معارفه، في أيام البنجة

ويقول الصابثون أن كل يوم من أيام هذا العيد الخمسة، يختص بشخص من ٣٦٠ ١١ شخصاً السماويين، فالיום الأول لـ «أنوش أثرا» والثاني لـ «شيشلام ربا» والثالث لـ «يوخاشار كنه» والرابع لـ «نابوت زبوا» والخامس لـ «بهرام ربا» وكان هؤلاء الأشخاص الخمسة قد خلقوا في أيام البنجة الخمسة، وسموا بأسمائهم فيه. كما كانوا يطوفون حول العرش الجليل، يسبحون بحمده، وهم بأثوابهم البيض. ولهذا يلبس علماء الدين الالبسة البيض فيه للدلالة على نقاء سريرتهم ويمشون حفاة لأن الاحذية تعمل من جلود الحيوانات الميتة، فهي نجسة، ويرتمسون في الماء الجاري يومياً قبل الطعام، ولا يأكلون من اللحوم غير لحم الضأن.

٤- عيد يحيى

ويسمونه (دهوه ديمانه) وهو يوم واحد يلي عيد البنجة بستين يوماً^(١) أي يقع في الثامن أو التاسع من حزيران، ويقولون أن آدم (ع) كان قد عمد في هذا اليوم بأمر من (ملكاً ربا دنهورا) فهو عيد مقدس يوجب التعميد على المؤمنين وحيث أنه يقع في بداية الصيف، فهو أحسن المواسم لتعميد الأطفال لأول مرة أما من يتعمد فيه من أبناء الطائفة فإنه يكتسب أجر ستين تعميداً إذا كان ثوب اعتماده (الرسته) جديداً وقد صادف حلول هذا العيد في عام ١٩٥٤ يوم الجمعة الموافق ٤ حزيران

(١) تقول السيدة دراور «وفي قولها وهم ظاهر» أن هذا العيد يلي عيد البنجة بستين يوماً

فتفضل (الكثير) الشيخ عبد الله بن الشيخ سام وسمح لنا بالحضور في داره الواقعة بجوار السفارة البريطانية في الكرخ من بغداد، حيث أجرى تعميد الشيخ دجيل بن الشيخ عيدان، وجماعة من المؤمنين في دجلة، كما ذبح دجاج كثير على مشهد منا وقرأ

✽ عدد الصابئة ✽

قلنا في موضع آخر أن الصابئي لا يكون صابئاً ما لم يولد من أب وأم صابئين وأن الصابئة لا يسوغون زواج الصابئة بالاجنبي، ولا زواج الصابئي من أجنبية، لئلا يختلط الدم، ويضيع النسب.

وقد أدى هذا الشدد في محافظة نقاوة الدم، إلى جعل هذا الفريق من البشر محصوراً في العدد، أخذاً بالتناقص سنة بعد أخرى، حتى أن الباحثين في تاريخ الاقوام والسلالات، يرون أنه قد لا يمر قرن واحد حتى ينقرض الصابئون من سفر الوجود، ولا يبقى لديانتهم إلا الذكر التاريخي، هذا إلى أن حالتهم الاجتماعية، وعادات الزواج عندهم، وما تتطلبه من تعميد في الماء الجاري، سواء أكان الوقت صيفاً أم شتاءً، وكذلك تغسيل المحتضر وتكفينه قبل زهوق الروح من جسده، وضرورة اغتسال الصابئي في الماء الجاري لتطهر من الجنابة ونحوها، كل ذلك من شأنه أن يعرض هذا القوم إلى الامراض التي تؤدي إلى الوفاة حتماً فلا نقراض.

مرّ الرحالة الفرنسي (تافرنيه) بمدينة البصرة في آذار ١٦٥٢م فقبل له أن أتباع القديس يوحنا المعمدان (وهم الصابئة) القاطنين في البصرة وأطرافها يومئذ يقدرون بخمسة وعشرين ألف عائلة^(١) فإذا فرضنا أن العائلة تتكوّن من خمسة أفراد، كان عدد نفوس الصابئة قبل ثلاث مئة سنة، مئة وخمسة وعشرين ألف نسمة، ولكن هذا العدد أخذ يتناقص ويتضاءل بفعل العوامل المذكورة حتى أصبح عشرة آلاف نسمة كما يقول رؤساؤهم و(٦٥٩٧) نسمة كما ينطبق به الاحصاء الذي أجرته الحكومة

العراقية في ١٩ تشرين الاول سنة ١٩٤٧م وهم موزعون حسب هذا الاحصاء على ما يأتي:

اسم اللواء	الذكور	الاناث	المجموع
لواء بغداد	٥٠٨	٣٨٧	٨٩٥
لواء الحلة	١٧	٥	٢٢
لواء الديوانية	٩٧	٢٧	١٢٤
لواء الناصرية	٣٩٣	٣٩٨	٧٩١
لواء البصرة	٦٨٠	٤٦٤	١١٤٤
لواء العمارة	١٤٣٠	١٦٨٥	٣١١٥
لواء الكوت	٨٨	٧٢	١٦٠
لواء ديالى	٦٠	٢٨	٨٨
لواء كركوك	٢٤	١٧	٤١
لواء الموصل	٥٢	٣٦	٨٨
المجموع	٣٣٤٩	٣١١٩	٦٤٦٨

ولهم أفراد قليلون في كل من ألوية : السليمانية ، وإربل ، والدليم ، و كربلا ، بحيث يصبح المجموع (٦٥٩٢) نسمة . مكان لهم في مدن إيران الساحلية ، في جنوبي العراق ، نحو الف نسمة . اما ما ذكره السيد نقولا سبيو في ان عددهم في عام ١٨٧٢ لم يتجاوز الاربعة آلاف نسمة ^(١) فقد كان كلاما مطلقا لا يستند إلى إحصاء رسمي .

وهؤلاء الصابئة العراقيون ينتمون إلى قبائل بعضها كبير ، والبعض الآخر صغير ، ويقول رؤسائهم انهم كانوا ينتمون إلى ٦٢ قبيلة لم يبق منها غير الآتي اسماءها :

١ - قبيلة (المندوية) وتوطن في العمارة

- ٢- قبيلة (الخميسية) وتوطن في قلعة صالح ، والقرنة ، وهي أكبرها
- ٣- قبيلة (أبو زهرون) وتقيم في الناحيتين : المسيعدة والحلفاية
- ٤- قبيلة (المسودنية) وتقيم في ناحية الحجر الكبير
- ٥- أبو كلش : ويقومون في ناحية الكحلاء
- ٦- قبيلة (الجحيلية) وتقيم في المدينة (بالصغير) والشرش ، والقرنة
- ٧- قبيلة (الكيالين) وتوطن في البصرة ونواحيها
- ٨- قبيلة (البنكانية) وتقيم في البصرة وأطرافها
- ٩- قبيلة (الدهيسية - بالتصغير -) وتوطن في الناصرية
- ١٠- قبيلة (ألبوسبي) وتقيم في سوق الشيوخ
- ١١- قبيلة (ألبومنا) وتقيم في سوق الشيوخ أيضا
- ١٢- قبيلة (ألبوعزاز) وتوطن في أطراف سوق الشيوخ
- ١٣- قبيلة (السيفية) وتقيم في سوق الشيوخ
- ١٤- قبيلة (البريجية) وتوطن في الجبايش

✽ مساكن الصابئة ✽

كان الصابئون في أيام خلفاء بني العباس ، منتشرين في كثير من بلدان الشرق القائمة على ضفاف الأنهر ، لأن طقوسهم الدينية ، وسننهم الاجتماعية ، تحتم عليهم الارتقاس في الماء الجاري ، سواء أكان الفصل صيفاً أم شتاء كما قدمنا ، وكان لهم في حران مركز دعاية كبير ، وإن لم يكن كثير الماء .

قال أبو الفداء عماد لدين اسماعيل بن علي بن محمود المتوفى سنة ٥٧٣٢هـ (١١٣٣١م)

« وكانت حران مدينة عظيمة ، وأما اليوم فخراب . قال في المشترك : وحران

مدينة مشهورة تعد من ديار مضر - بالضاد المعجمة - قال ابن حوقل : وهي مدينة

الصابئين وبها سدنهم السبعة عشر ، وبها نل عليه مصلى للصابئين يعظمونه ، وينسب إلى ابراهيم ، وهي قليلة الماء والشجر . قال في العريزي : والجليل منها في سمت الجنوب والشرق على فرسخين ، وحرثها حمراء ، وشرب أهلها من قناة تجري من عيون خارج المدينة ، ومن الآبار ، وهي والرقعة من ديار مضر ^(١)»

ولكن لكثرة الاضطهادات التي لحقت بهذا الفريق من البشر فقد أصبح محصوراً في أماكن معينة من المدن القائمة على سبني دجلة والفرات في جنوب العراق ، وفي بعض مدن إيران الساحلية القائمة على النهرين : كارون والذئ ، وأهم هذه المدن : العمارة ، وقلعة صالح ^(٢) والزكية «الزكية» والعزير - بالتصغير - والقرنة - موضع إقتران دجلة بالفرات - والشرش ، والمدينة - بالتصغير - ونهر صالح ، والجبايش ، والحار ، وكرمة بني سعيد ، وسوق الشيوخ ، وناصرية المتفق ، والبصرة . أما أهم المدن الساحلية الإيرانية التي يقطنوها فهي : المحمرة وشتر ، ودزبول ، وناصرية الاهواز ، ويقال لها ناصرية العجم . ولما احتل الجيش البريطاني بغداد في ١١ آذار سنة ١٩١٧ م ، ظعن لفيف من الصابئين إلى بغداد ، ثم إلى سائر مدن العراق المهمة طلباً للرزق ، كما نزع لفيف آخر إلى عواصم جمهوريات سورية ، ولبنان ، ومصر ، وإلى أمهات مدن العالم وحواضره ، للفرض نفسه ، متساحمين في أمر الرسوم الدينية التي تفرض عليهم الارتقاس في المياه الجارية ، مكثفين بأخذ مياه الغسل من الينابيع والكهاريز المتصلة ببعضها ، خارجين على بعض الطقوس في أحيان كثيرة . فهم مثلاً يخلقون لحاهم وشعور رؤوسهم ، ويساكنون أبناء الطوائف الأخرى ، ويأكلون من ذبائح غيرهم ، ولا يتوقفون عن استعمال الخمر والميسر ، وكل ذلك مما حرّمه عليهم شريعتهم ، كما سبقت الإشارة إليه

(١) تقويم البلدان ص ٢٧٧ (باريس ١٨٤٠)

(٢) قلعة صالح مدينة صغيرة تقع على مسافة ٤٥ كيلو متراً من العمارة جنوباً ، بينها وبين البصرة ، فيها زهاء خمسة آلاف نسمة تلتهم من الصابئين الذين بنوا معابدهم في غربي هذه القصة .

❖ صناعة الصابئة ❖

أما صناعة الصابئة فهي على الاغلب صياغة الميناء .
والميناء (من المينة) لفظ فارسي معناه صناعة جوهر الزجاج ، وهو اسم لا كاسيد معدنية
تصهر بمادة زجاجية ، وتزين بها الحلي وأواني الذهب والفضة ، فتكسبها رونقا وجمالا ؛
وهي من الصناعات التي كانت وما زالت موضوع إعجاب الناس في مختلف ديارهم .
وصناعة الميناء قديمة ، عرفها الطورانيون الأقدمون ، وتناقلها عنهم المصريون ،



❖ صياغة « الميناء » عند « الصابئة » ❖

والفيثقيون ، ثم انتقلت إلى الهند والفرس ، ثم إلى البيزنطيين ، وقد انتشرت في الشرق
والغرب معاً حتى بلغت أوج كمالها في نهاية القرن السادس عشر للميلاد .
وهي إما شفافة ، كالزجاج ، يخترقها النور وتحكي عما وراءها ، وإما كثيفة تزين
بها سطوح الاجسام فتشبه الخزف الصيني ، وكلا النوعين يمتاز بكونه ذا ألوان متعددة .
وهي تستعمل لوجوه الساعات التي تثبت عليها الأرقام .

أما طريقة عملها فتكون بسحق الأجزاء المطلوب مزجها بكميات معينة ، كل على حدة ، سحقاً جيداً ، ثم توضع على النار فتصهر حتى تسيل في بوتقة مغطاة أربع مرات ، حيث ترفع في كل مرة لتسكب بالتدريج في ماء إلى أن تتصلب الأجزاء فيسهل سحقها ، وتجري من وراء ذلك عملية التخطيط على الأجسام بالصور المطلوبة ، والنقوش الجميلة . وقد تخصص القسم الأغلب من الصابئة بهذه الصناعة حتى أبدعوا فيها ، وأنقنوا فن نقل الصور بضبط ودقة ، فهم يستطيعون نقل الصورة الشمسية على علبه السيكرة مثلاً ، أو على خاتم صغير ، فتخال إلى الناظر كأنها قد دبت فيها الحياة . وتكاد هذه الصناعة تنحصر فيهم في الوقت الحاضر ، لأنهم يحرصون غاية الحرص على حفظ أسرارها ، ولا يوحون للغير عنها .

ويجيد البعض الآخر من الصابئة صناعة القوارب الخشبية على اختلاف حجومها وأوساقها : كالطراريد (جمع طرادة) والمشاحيف (جمع مشحوف) والأبلام (جمع بلم) والسوج (جمع ساجية) التي يكثر استعمالها في جنوب العراق ، ولا سيما في الأهوار ، كما أن بعضهم يمتن الحداة ، ويصنع الخناجر ، والآلات الجارحة ، وهناك من يحترف صناعة الألبان ، ولكنهم أقلية ضئيلة .

ولا بد من القول أن شباب الصابئة ، الذين تحلوا من قيود شريعتهم ، التحق بالمدارس والمعاهد المختلفة ، فتخرج فيها حتى أصبح منهم من يمتن الطب ، والصيدلة ، والمحاماة ، والهندسة ، والتدريس كما أن لفيماً آخر التحق بكميات الغرب ، فاكسب دراسة راقية ، ومعلومات نافعة إلا أن هؤلاء مازالوا يترسحون خطي رؤسائهم الروحانيين ، ويفخرون بالانتساب إلى دينهم القديم .



الموت والجنائز

عقيدة الموت

يعتقد الصابئة أن الموت ارتحال وانتقال ، لا فناء واندثار ، فالروح بعد أن تخرج من هذا العالم لا تنفي ولا تنعدم ، وإنما تنتقل من عالم إلى آخر حتى تنصل بعالم الأنوار «آلبي دنهورا» إن كانت طيبة «حيث تبقى حية مخلدة في ذلك العام النوراني متنعة بأنواع الملذات» وتنتقل إلى صنوف العذاب ، إن كانت خبيثة ، وربما كان تعذيب هذه الروح باللباسها شكلاً آخر ، وإظهارها في جسم من الأجسام ، الذي يكون وجودها فيه عذاباً وشقاء . فالعذاب في نظرهم - مهما كان نوعه - إنما هو تطهير للروح من أدران الذنوب ، وهذا ما جعل لفكرة التناسخ أصلاً عندهم .

تفسير المحتضر وتكفينه

أما الرسوم الدينية التي تجري لفقيد الصابئة «المنداية» فإنها تقام قبيل خروج روحه من جسده ؛ لأنهم يعتقدون بأن الروح طاهرة فلا بد لها من أن تخرج من بدن طاهر ، وهذا ما فرض عليهم تفسير المحتضر وتكفينه ، وهو في حالة النزاع ، لتخرج روحه من جسده ، وهو طاهر ، فإذا مات نجس ، وحرم مسه ، ومن لمسه لا يطهر ، حتى وإن اغتسل بمياه البحار مراراً ، أو تعمد تكراراً .

وعلى هذا إذا ظهرت إمارات الموت على أحدهم ، نزعته عنه ثيابه ، وأخذ إلى الماء الجاري في نهر ، أو ساقية ، أو جدول ، فيغسله «الخلالي» بمشهد من «الاشكندي» أحد معارفه ، متجهماً به نحو الجددي ؛ ويكفنه باللباس الديني «شبيه بالرسته» ثم يعيده إلى فراشه فيبقى حتى يوافيه أجله . وقيل أن تزهرق روحه ، يضم على رأسه إكليلاً صغيراً من عود الآس الأخضر ، فإذا زهقت الروح خاط الكفن عليه ، ولفه بالقصب ، ثم يبدأ

لإرساله إلى مثواه الأخير، على أن تمضي ثلاث ساعات على زهوق الروح، فإن انتهت هذه الساعات الثلاث بانتهاء النهار، حفظت الجنازة في بيتها إلى صباح اليوم التالي. ومنهم من يغسله في بيته بالماء الفاتر، إذا كان الفصل شتاءً بارداً، وبالماء العادي إذا كان الفصل صيفاً أو معتدلاً. أما الزعم بأن المندائين يخنقون المحتضر قبل أن تزهر روحه، فلا صحة له مطلقاً.

أما من مات قتلاً، أو غيلة، أو بسكتة قلبية، أو بتصلب في الشرايين، فإنه لا يغسل، لأن الغسل موضوع عندهم لمن به روح، فإن فارقت الروح الجسم، أصبح الجسد كالطين المجهول، لا يطهره الماء، ولا يؤثر فيه الاعتماد، وفي مثل هذه الحالة يوافيه مؤمن من درجة « كزبرا » فيقوم بواجب التعميد والتكفير؛ لأن الموت الفجائي يجعل الميت في عداد من مات بدون رسوم الجناز، على أنهم أخذوا يتسامحون أخيراً فصاروا يغسلون الميت فجأة، كما يغسلون المحتضر، حتى إذا حل « عيد النجاة » أقيم له ترحيم ديني خاص بسمونة (Mishkhitha) للتكفير عنه.

وفي الوقت الذي يشغل أهل الفقيد بتهيأة أسباب دفن فقيدهم، ينعاه أحد أقاربه إلى مؤمن من درجة (ترميده) فيوافيه هذا بكتابهم الكبير (سدر آدم) ويعلم على هيئة الصليب، له كسوة من القز الأبيض بسمونه (درشا أديهيه) أي علم يحيى، فيغرس العلم في فناء الدار، ويشرع في تلاوة نصوص مستخرجة من الكتاب المقدس يستنزل فيها شأيب الرحمة والبركة على روح الميت^(١).

(١) نادرة طريقة أقصاها على القارئ الكريم :

كنت في عام ١٩٢٢م تلميذاً في دار المعلمين ببغداد، وكان في الدار المذكورة تلميذان صابنيان: أحدهما من أهل الناصرية، يدعى « مسلم ضد » والآخر من الهارة، يسمى « غضبان رومي » وفي خريف تلك السنة أصيب « مسلم » بالتهاب الزائدة الدودية، فأجريت له عملية مستعجلة واستدعي أهله إلى بغداد ليكونوا بالقرب من ولدهم، فظن هؤلاء أن العملية ستؤدي إلى وفاة

نقل المتوفى

أما الطقوس المقتضاة لنقل المتوفى ودفنه ، فإنها تجري على وجه مخصوص فهم أولا ينصبون له (المندلثا) في بهو الدار ، وبعد الطواف بالرفاة حولها ثلاث مرات ، يحمل النعش - فوق رؤوسهم - أربعة من المؤمنين من درجة (حلالي) على ان يكونوا سالمين من العيوب الخلقية كافة ، وان يكونوا متزوجين ، وذوي نسل ، فيمشون الواحد وراء الآخر ، وهم حفاة مرثدين لباسهم الديني (الرسته) ويسبرون به إلى

الولد حتما . وبعد خمسة ايام طلبت امه إلى السلطات الصحية أن تسمح لها بأخذ ولدها ، لتجري عليه الرسوم والطقوس الدينية ، قبل ان ترحق روحه فيموت كافرا ، فلم تر السلطة المختصة مانعا من ذلك فسمحت لها بأخذ المريض المحتضر . ولكن ماذا علمت به امه ؟

هذا سؤال غريب ، وأغرب منه جوابه !

أخذت الوالدة ولدها إلى شاطئ « دجلة » ورفع أهله الأربطة التي ضمت بها جروح ولدها ، وبدأوا يصبون الماء على تلك القروح ، وهي دامة ، والولد يصيح ويستغيث ، ولكنه لم يجد من يشفق عليه ، وهكذا غسل « مسلم » وكفن ، واهيد إلى فراشه في انتظار زهوق روحه ، ومرت اربع ساعات والروح لم ترحق ، فتقدم احد اساتذتنا إلى سرير المحتضر ، ودس آلة الترمومتر تحت إبطه ، فلاحظ ان درجة الحرارة لا تنذر بالخطر ، فأخبر الاطباء بذلك ، فبادروا إلى تضيق جروح التلميذ من جديد ، وكانت النتيجة انه ابل من مرضه بعد بضعة أيام ، واشترك في امتحان نصف السنة بنجاح ، وهو ما زال يدرس في المدارس الحكومية في لواء المنتفق ، وله في خلقه شرون .

وفي ص ٢١ من المجلد الثاني من « مجلة اليقين » البغدادية الصادرة في عام ١٣٤٢ هـ « مرض رجل اسمه عزت بن خنجر ففسل ، وكفن ، ثم برى . وهكذا عمل ثلاث مرات يمرض ، فيشرف على اللحد ، فيشق الكفن ، وهو لا يزال حيا يرزق » ١ هـ

(١) يزعم المنداثيون ان ارواح موتاهم تبقى مرفوفة في الفضاء ثلاثة أيام بعد الوفاة ، متردة بين القبر والدار ولهذا يعملون لها « مندلتا » بعد الوفاة مباشرة ، ويضعون الى جانبها كأسا ، أو طائفة من الماء . وهذه المندلتا عبارة عن ثلاث ربطات من القصب النظيف المقشر ، مشدودة إلى بعضها بشدا دنيا خاصا ، ومختومة بالاسكندولة ، وهي لا تقض إلا في ختام اليوم الثالث للوفاة .

مرفده الاخير بين الصمت والخشوع ، لأن البسكاه والعويل على الميت محرمان عندهم
وكذلك يحرم لطم الصدور ، وأرش التراب على الرؤوس ، وهم يعتقدون بأن كل
دمعة تذرفها العين على أي فقيد تكون نهرأ كبيراً في طريق نفسه ، تكاد تعجز
عن قطعه .

ويتحتم على أحد (الحلالية) ان يختم قطعاً مستديرة من الطين بخاتم مقدس عندهم
يسمونه (إسكندولة) بحلى بأربع صور من الحيوانات المؤذية هي : الحية ، والعقرب ،
والأسد ، والزنبور ، حتى إذا بلغ وأصحابه الجبانة ، وضع الطين المختوم فوق موضع



﴿ الاسكندولة ﴾ التي ترصد القبر وتحده .

القبر الذي يختارونه له ، فيشرع الحفارون في حفره ، والترميده يقرأ في كتاب
((سدرا ربا) وأمامه (الدرابشا)

أما إذا كان المتوفي أحد رجال الدين ، فإن زملاءه يمشون خلفه حفاة ، حاملين
كتبهم المقدسة فوق رؤوسهم ، وأمام الجميع علم يجي ، أي (درابشا اديبيه) مرفوعاً إلى
علو شاهق للإعلان عن شخصية الميت

صفة القبر

أما القبر فيكون بشكل مستطيل ، وعمق يتراوح من ثلاثة إلى خمسة أمتار ،
حسب صلابة الأرض ، وتحفر عند موضع الرأس حفرة صغيرة ضيقة تسمى « لغم »

فيدخل فيها رأس الميت إلى صدره ، بحيث يكون مستلقياً على ظهره ؛ ووجهه ورجلاه متجهة نحو الجدي ؛ فإذا بعثت الجثة ، واجهت هذا الكوكب الثابت بالذات ؛ ثم تصف الأحجار على كفه ، من صدره إلى أخمص قدميه ، وحينما ينتهي (الترميده) من قراءة النصوص الدينية الخاصة بالدفن ، يلقي حفنتين من التراب على جسد الميت ، ثم تنهال الأتربة عليه دون أن تشيد بنية فوقه .

والصائفة أسطورة يتناقلونها في سبب وضع الحجارة على أكفان موتاهم مباشرة ، قد لا تخلو من طرافة ، فهم يزعمون أن كثيراً من آبائهم القدماء عمدوا إلى نبش قبور موتاهم ، ليتفقدوا أوضاعهم ، فوجدوا أن أكفانهم قد تجمعت في أفواههم ، وإن هذه البادرة النحسة أدت إلى أن يتوفى أهل بيوتهم تبعاً ، وبسرعة فائقة ، فلما لم يسرع الموت إلى أهل الميت ، يضعون الأحجار على صدره لهذه الغاية ، ويضعون في فيه قليلاً من تراب أول حفرة تمحفر لقبره ، كما أنهم يضعون مع الميت قطعتين صغيرتين إحداهما من الفضة ، والاخرى من الذهب على أن يكون زنة كل منهما ١ - ١٦ من المثقال

أما سبب وضع التراب عليه مباشرة ، فسنة عمل بها « مندائي » لما أהל حفنتين من التراب على جسد الرسول الأعظم عندهم ، يحبى بن زكريا ، فكانتا قبراً له .

المأتم

ومتى عاد المشيعون إلى دار المتوفى ؛ اغتسل « الحلالية » ومن اشترك معهم في الدفن ، وعمدوا الأدوات التي استعملت في الحفر والإقبار ، في الماء الجاري ، وأكلوا مما أعد لهم من طعام خاص لهذه المناسبة يسمونه « لوفاني » وعندها يقام مأتم لروح المتوفى في سبعة أيام متتالية ، ومثل ذلك في اليومين السابع والثلاثين والخامس والأربعين للوفاة

وحرام على زوجة الفقيد أن تقص شعرها حداداً على بعلها ، أو أن تندبه بالبكاء

والعويل ، لأنها تركب بعملها هذا إنما لا يفتقر . وهم يعزون عقيدتهم هذه الى ان يحیی أوصی زوجته - حين أدركته الوفاة - بأن لا تبكي ولا تحزن عليه ، بل تبقى على بشاشتها ، وتطلق صوتها بالفرح عليه ، لا بالويل والثبور ، فكان لزاماً على أتباعه أن يترسوموا خطاه في مثل هذه الأحوال ، ومن هنا أصبح الموت عندهم مدعاة للسرور ، وليس للحزن ؛ وأصبح يوم المآتم أكثر فرحاً من يوم الزفاف . وعلى الرغم من ذلك كله ، فإن العوام من الصابئة - لتأثرهم بالمحيط الاسلامي الذي يعيشون في كنفه - أصبحوا يندبون موتاهم ، وقصد يخطئون فيبكونهم أيضاً ، إلا اذا كان المتوفى من المؤمنين ، فإنهم لا يتسامحون في أمر الدين قيد أنملة .

وقد حتمت الشريعة المندائية قبر الميت حيث يموت ، فلا يجوز نقله إلى بلد آخر ، كما لا يجوز العبور به على نهر جار .

ما بعد الموت

في معتقدهم ان الصابئي « المندائي » إذا مات ، استقبله ملكان : يدعى أحدهما (صارويل شرويه) ويسمى الثاني (قاميز زيوا) وهما ناقلتا الأرواح ، فيحاسبانه على عمله في دنياه ، حسناً كان أم سيئاً^(١) فإن كان من أصحاب الاعمال الحسنى ، فإن روحه تذهب إلى عالم الأنوار « آلي دنهورا » من أقرب طريق تقطع فيه العوالم السبعة ، في خمسة وسبعين عاماً ، وتنتهي في الميزان الذي نشاهد نجماته في السماء ، ولكن في عالم

(١) « بخصوص العالم الآخر : يعتقدون ان هناك الجنة ، ويسمونها آلي دنهوره وترجمتها عالم النور ، كما هناك نار ويطلق عليها أور ، ويتصورونها مخلوقاً كبيراً يتلعب الاشرار ، وبين الجنة والنار شيء ثالث يسمى المطهر - المطرائي - اي المطهر وفي هذا المحل تمذب الأرواح التي ارتكبت ذنوباً بسيطة ، ويكون عذابها لأمدهم محدود ثم تنتقل منها الى مواضعها في عالم النور . ويعتقدون أن أور الذي يلتهم الاشرار يأتي من عالم الشياطين وان عالم النور مملوء بالملائكة الصالحين »

الاستاذ عبد الله « الصابئي » في كتاب « العراق في القرن السابع عشر » ص ١٠٨

الأنوار ، فتوزن فيه الروح ؛ ثم يسمح لها بالدخول في عالم الأنوار .
وأول روح وزنت في هذا الميزان - في اعتقادهم - هي روح شيث بن آدم (ع)
الذي مات قبل أبيه ؛ لأن الله تعالى طلب إلى آدم أن يلبي دعوته فأبى ، وكان عمره
إذ ذاك ، ألف سنة ؛ وطلب أن يعيش ألف سنة أخرى . أما عمر ابنه شيث فقد كان
ثمانين عاماً ، ولم يكن ليتزوج ، وبذلك أصبح عمر البشر غير محدود . فموت الطفل ،
والشاب غير المتزوج ، والشيخ الهرم ، على ما هو جار عندنا اليوم ، ولو أن آدم كان
قد قبل أن يموت ، عندما طلب الرب إليه ذلك ، لأصبح للبشر عمر محدود ، ينتهي بالموت .
أما إذا كانت روح المتوفي خبيثة ، فإنها تبقى في العذاب بنسبة ما تستحق . ولا تقتصر
أنواع العذاب عندهم على الإدخال في النار حسب ، بل هي تختلف باختلاف الآثام
التي ارتكبتها الإنسان ؛ فقد تكون العقوبة بجس الروح في موضع لا هواه فيه ، أو
بضبطها بين جبلين ، أو بتعذيبها في النار ، أو بنحو ذلك ، فإذا تحملت من الذنوب ،
وقطعت العوالم السبعة في مدة تتناسب مع عذابها ، وصلت إلى الميزان فتوزن فيه
كسابقاتها .

المعاد

المعاد هو الحياة الآخرة ، التي تحيي بها النفس في عالم الأنوار «آلئ دنهورا»
وتنعم بما يتنعم به القديسون والروحانيون هناك ، والناس صائرون كلهم إلى هذا العالم
النوراني إما رؤساء ، أو بعد تطهيرهم من خطاياهم بالعذاب المتناسب مع الآثام التي
ارتكبوها في هذه الدنيا الفانية (١) .

(١) «أما أنواع العذاب عندهم فتختلف باختلاف أنواع الجرائم ؛ فمنها أن توضع نفس المجرم
في كظم اور ، أي في مجرى نفسه ، فيتعاقب عليها نسيمان : إحداهما كأحر ما يكون من
السموم ، وذلك عند إخراج النفس من صدره ، والاخرى كأبرو ما يكون من الزمهرير نحو ذلك
عند اجتذابه من الخارج ، وأصحاب هذا الصنف من العذاب هم الزناة .

أما هذه الأرض التي نسكنها فتنعود، بعد أن تنفي وتندثر، هي وعوالم الظلمة التي تستمد نورها من الشمس .

ويختلف المعاد عند الصابئة، عنه عند المسلمين، بأن الأولين يرون أن المجازات والعقوبات تجري في عالم قبل عالم الآخرة . أما عند المسلمين فإنهم يرون أن الثواب والعقاب يكونان في عالم الآخرة كما هما في عالم البرزخ المتوسط

«ومنها صنف يقال له -نوردوياكو- أي نار الجحيم، وهو قنور بالغ من الحرارة ما تكون نارنا عنده برداً وسلاماً، فتعلق أنفوس المعذبين على جدران هذا التنور حيناً، ثم تخرج منه، ثم ترد إليه وهم جرا، وهو عذاب السارقين .

«ومنها أن يوضع الماعب بين صخرين عظيمين فيضغطان عليه ضغطاً شديداً حتى يتفطخ جسمه ويكاد يمتشق، ثم ينفرجان عنه فيعود إلى ما كان عليه، وبعد ذلك يعودان فيضغطان عليه، ويكون ذلك ثلاث مرات كل يوم، وهو عذاب من يخون شريكه .

«ومنها سلسلة تتدلى من سقف المكان، فتشد بها عنق المذنب، فيسحب منقبضاً على قدميه، ولا يستطيع أن يثني ركبته، ولا يتحول عن موقفه، وهو عقاب أهل الضمائر .
«ومنها أن يلبس المحرم لباساً من الثلج، وهو جزاء المتجسسين، والنامين، والذين يرمون الأبرياء بالريب، ويلقونهم بين أيدي الحكام

«ومنها سلك من الحديد يحمي بالنار إلى أن يحترق، ثم يدخل في إحدى أذني المذنب، ويخرج من الأخرى على الدوام، وهو عقاب من يسترق السمع .

«ومنها أن تقلب راحتا المذنب ناراً، ويؤمر أن ينفخها بشفتيه، حتى لا يجمد اشتغالها، فتصير بذلك كفاً جراً، ولكنهما لا تحترقان، وهو جزاء الكذابين

«ولهم ضروب أخرى من العذاب لا فطيل باستقصائها، تطول مدتها وتقصّر تبعاً لعظم الجرم وكيته، إلا أنه ليس شيء منها يجازى على المحرم إلا من قتل نفساً، أو كان سبباً في قتل أحد، ولو كان قاتلاً، ومن كان علة في خروج أحد الصابئة إلى دين آخر، بأي حجة كانت، ومن زنى بيسكر، فإن هؤلاء يكون عذابهم مؤبداً»

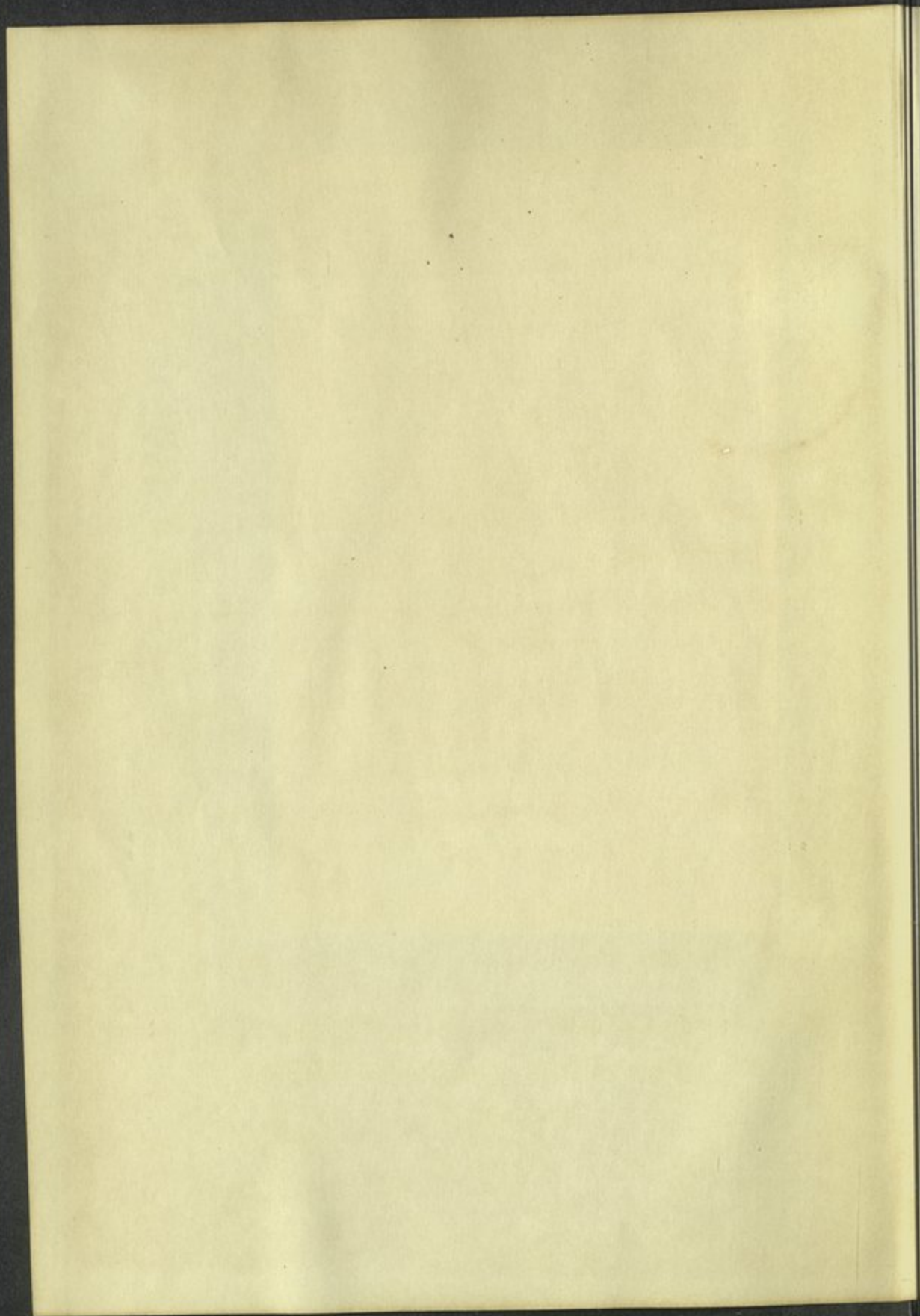
الوصية والميراث

يشترط أن يفهم أراد التصرف بتركته من بعده ، حسب وصيته ، أن يكون قد أحسن في حياته إلى المحتاجين والمعوذين ، بصورة سرية ، وهم يبالغون في سرية الصدقات حتى يقولون « أعط باليمنى على أن لا تدري اليسرى » أما تقسيم الموارث فإنه ليس من أساس شرائعهم الدينية ، والذي يفرض عليهم هو جعل أكبر أبناء المتوفى مسؤولاً عن آله وذويه ، فيتولى الصرف على هؤلاء من المال الموروث : منقولا كان أم غير منقول . غير أنهم - لتأثرهم بالمحيط الاسلامي الذي يعيشون في وسطه - أخذوا بالموارث على ما جاءت به شريعة محمد بن عبدالله ﷺ وصاروا يعملون بالقسمات الشرعية التي تصدرها القضاة المسلمون عندهم

المحرمات

- يحرم على الصابئة إتيان عدد كبير من الاعمال الدنيوية ومن أهمها :
- ١- القتل والقتال إلا في حالة الدفاع عن النفس
 - ٢- الزنا واللواط
 - ٣- احتساء الخمر حتى السكر ، ولعب الميسر مطلقا
 - ٤- الحتان
 - ٥- حلف اليمين وإن كان صدقا
 - ٦- مؤاكلة أصحاب الاديان الاخرى
 - ٧- الاكل والشرب والاشتغال قبل الاغتسال من الجنابة
 - ٨- لبس الأثرق
 - ٩- قطع الطريق وسلب المارة
 - ١٠- النظر إلى المحصنة بريب
 - ١١- الاشتغال في الاعياد ، وفي أيام الآحاد
 - ١٢- شهادة الزور
 - ١٣- الفتنة والفيعة والنميمة
 - ١٤- الربا وربح الربا
 - ١٥- الحبس عن دين مهما كانت مدته
 - ١٦- خيانة الامانة
 - ١٧- حلق الذقن والشارب أو الاخذ منها . أما شعر الرأس فيسمح بقصه للعامة دون الخاصة .
 - ١٨- أكل لحم كل ذي ذنب . وتقتصر لحومهم على الخراف والدجاج والسمك والطيور الحر





DATE DUE



الحسيني، عبد الرزاق،
الصبايون في حاضرهم وماضيهم...

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01010173

American University of Beirut



299.2

H34s2A

General Library

